الدكتور
لبيب بيضون

كلمة الحق

في صحة ما جاء في نهج البلاغة
وأنه من كلام الإمام علي عليه السلام

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

الدكتور لبيب بيضون

كلمة الحق

في صحة ما جاء في نهج البلاغة

وأنه مِن كلام أمير المؤمنين علي (ع)

إضافة إلى (شروح نهج البلاغة) لابن ميثم البحراني

١٤٢[illegible] هـ - ٢٠٠٦ م

ترجمة المؤلف

هو لبيب بن وجيه بن داود بن سليم بن علي بن محمد بيضون . أصل عشيرته من قرية (بنت جبيل) في جنوبي لبنان . وقد تتلمذ أجداده على يد الصحابي الجليل أبي ذرّ الغفاري ، حين نفاه عثمان إلى دمشق ، ثمّ نفاه معاوية إلى جبل عامل .

ولد في دمشق سنة ١٩٣٨ م . نال الشهادة المتوسطة من المدرسة المحسنية في حي الأمين ، ثمّ نال الشهادة الثانوية العلمية ، فرع الفيزياء والرياضيات من ثانوية ابن خلدون عام ١٩٥٧ . انتسب إلى كلية العلوم بجامعة دمشق فنال شهادة البكالوريوس في العلوم الفيزيائية سنة ١٩٦١ ، ثمّ نال الدبلوم في التربية سنة ١٩٦٢. قام بالتدريس سنتين في ثانويات سورية الحكومية . ثمّ عيّن معيداً في قسم الفيزياء بكلية العلوم في جامعة دمشق ، ثمّ صار مدير أعمال في القسم المذكور . وفي سنة ١٩٧٦ نال شهادة الماجستير في الفيزياء من جامعة غداينسك في بولندة ، اختصاص (دوزيمتري) . وفي سنة ١٩٩٨ نال شهادة الدكتوراه الإبداعية من الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية الذي مقره باريس ، لتأليفه كتاب [تصنيف نهج البلاغة] وكتاب [خُطب الإمام الحسين (ع) على طريق الشهادة] . ولما بلغ الستين أحيل على التقاعد ، وقد قضى نحو ٣٥ عاماً مدرساً للفيزياء في جامعة دمشق .

اشترك في عدة مؤتمرات في إيران بعد الثورة الإسلامية المظفرة ، منها المهرجان الألفي لنهج البلاغة ، والذكرى الثالثة لانتصار الثورة ، والمؤتمر الثالث والتاسع لنهج البلاغة ، والمؤتمر العالمي لأهل البيت (ع) ، ودورة التعرف على

المقدمة

بعد طبعي لكتابي (تصنيف نهج البلاغة) زارني أستاذي الجليل السيد نسيب مرتضى ، ودعاني إلى كتابة بحث ملحق بالتصنيف ، حول دحض مزاعم مَن شكّك في نهج البلاغة ؛ سواء مَن ادّعى أن إضافات أُلصقت بالكتاب بعد جامعه الشريف الرضي ، أو مَن لم يتورّع عن نسبة التزوير والتلفيق للشرف الرضي نفسه !.

وقد توفرت لي بعض المصادر حول هذا الموضوع شجّعتني على تأليفه ، منها :

١- تعليقان للمجتهد الأكبر السيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة) عند حديثه عن نهج البلاغة في (الجزء الأول - القسم الأول ، ص ١٥٣، ط٢) و (الجزء الثالث - القسم الثالث ، من ص ١٠٣ - ١٢٤ ، ط٢) .

٢- ما ذكره الأستاذ أديب التقي في كتابه (الشريف الرضي) ص ٩٤ .

٣- ما ذكره الهادي كاشف الغطاء في كتابه (مستدرك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه) ص ١٩٩ .

٤- كتيّب (ما هو نهج البلاغة ؟) للعلامة السيد هبة الدين الشهرستاني ، طبع في صيدا عام ١٣٥٢ هـ . وهو على صغره كتاب جامع مانع ، وقد اهتمّ بالردّ على مَن شكّكوا في نسبة الخطبة الشقشقيّة للإمام علي (ع) ، واستقصى جميع المصادر التي أوردت هذه الخطبة قبل أن يولد الشريف الرضي .

٥- كلام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في مقدمة شرحه للنهج .

٦- كلمة محمد محي الدين عبد الحميد محقق الشرح السابق ، وذلك في مقدمة الطبعة الأولى مِن شرح محمد عبده المطبوع بمطبعة الاستقامة بالقاهرة .

٧- كـلام عبد الحميد ابن أبي الحديد في شرحه للنهج في الجزء العاشر ، ص ١٢٨ و١٢٩- تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم - الطبعة الثانية بمصر عام ١٩٦٥.

٨- كتاب (التذكرة) للشيخ موسى عز الدين مِن صور ، المطبوع في بيروت عام ١٩٥٧ .

٩- مصادر نهج البلاغة وأسانيده تأليف السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب .

١٠- طـرق التحقيق في مصادر وأسانيد نهج البلاغة للمرحوم الشيخ محمد دشتي (باللغة الفارسية) طبع قُم عام ١٤٠٩ هـ .

وقــد رأيت أن أبدأ بأقوال بعض العلماء حول قيمة نهج البلاغة ومكانته التي هي فوق ما يصفه الواصفون . ثمّ أدخل في المناقشات والردود على الذين شكّكوا في نسبة ما في نهج البلاغة للإمام علي (ع) . ثمّ أُلقي الضوء على الخطبة الشقشقية بشكل خاص ، والمصادر التي وردت فيها قبل أن يخلق الشريف الرضي .

وبعــد هذه الدراسة أثبت ما جاء في كتيّب (ما هو نهج البلاغة ؟) للعلامة السيد هبة الدين الشهرستاني رئيس محكمة التمييز الجعفرية في بغداد سابقاً .

دمشق في ١ رجب ١٤٢٧ هـ

الموافق ٢٦ تموز ٢٠٠٦ م

الدكتور لبيب بيضون

أقوال العلماء في نهج البلاغة

كلمة الجاحظ :

● يقول الجاحظ في (البيان والتبيين) ج١ ص ٤٧ :

" يقـــول الإمام علي (ع) في نهج البلاغة : (قيمة كلّ امرئ ما يحسنه) . فلو لم نقـــف مِن هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة ، لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية ، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية ، وغير مقصّرة عن الغاية .

وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه . وكان الله عـــزّ وجـــل قد ألبسه مِن الجلالة ، وغشّاه مِن نور الحكمة ، على حسب نيّة صـــاحبه وتقوى قائله . فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً مِن الاستكراه ، ومنزّهاً عن الاختلال ، مصوناً عن التكلّف ؛ صنع في القلب صـــنيع الغيـــث في الـــتربة الكريمة . ومتى فَصَلت الكلمةُ على هذه الشريطة ، ونفـــذت مِن قائلها على هذه الصفة ، أصحبها اللهُ مِن التوفيق ، ومنحها مِن التأييد ، مـــا لا يمتنع مِن تعظيمها به صدورُ الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة . وقد قال عامر بن عبد القيس : " الكلمة إذا خرجت مِن القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت مِن اللسان لم تجاوز الآذان ".

وقـــد أُثر عن الجاحظ قوله : ما قرع سمعي كلامٌ بعد كلام الله ، وكلام رسوله ، إلا عارضـــته ؛ إلا كلمات لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فما قـــدرت عـــلى معارضتها ، وهي مثل قوله : " أحسن إلى مَن شئت تكن أميره ، واستغنِ عمّن شئتَ تكن نظيره ، واحتج إلى مَن شئت تكن أسيره ".

كلمة الشريف الرضي :

- يقول الشريف الرضي جامع النهج عن نهج البلاغة [1]:

" يتضــمن مِن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية ، وثواقب الكَلِــم الدينية والدنيوية ، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ، ولا مجموع الأطراف في كــتاب . إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام ، مَشْرع الفصاحة ومَوردها ، ومَنشأ الــبلاغة ومَولدها . ومنه (ع) ظهر مكنونها ، وعنه أُخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حــذا كلُّ قائل خطيب ، وبكلامه استعان كلّ واعظ بليغ . ومع ذلك فقد سبق وقصّروا ، وتقدّم وتأخّروا ؛ لأن كلامه عليه السلام الكلامُ الذي عليه مَسْحةٌ مِن العلم الإلهي ، وفيه عبقة مِن الكلام النبوي ".

كلمة لابن أبي الحديد المعتزلي :

- يقول عبد الحميد ابن أبي الحديد :

" إن سطراً واحداً مِن (نهج البلاغة) يساوي ألف سطر مِن كلام ابن نباتة ، وهو الخطيب الفاضل الذي اتفق الناس على أنه أوحد عصره في فنّه ".

وقــد اعترف ابن نباتة المصري بفصاحة الإمام علي (ع) حيث قال : حفظتُ مِن الخطابة كنزاً ، لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة ، حفظت مائة فصل مِن مواعظ علي بن أبي طالب (ع) .

كلمة الشيخ محمد عبده :

- ويقول الشيخ محمد عبده في مقدمة شرحه للنهج :

" وبعــد ؛ فقــد أوفى لي حُكم القدر ، بالاطلاع على كتاب " نهج البلاغة " مصــادفةً بلا تعمّل ... فتصفّحت بعض صفحاته ، وتأملت جملاً مِن عباراته ؛ مِن

---

[1] مقدمة شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده – طبعة مصر الأولى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

مواضــع مخـــتلفات ، ومواضيع متفرقات ، فكان يخيّل لي في كلّ مقام ، أنّ حروباً شَـــبّتْ ، وغارات شُنّت ، وأن للبلاغة دولة ، وللفصاحة صولة ... وأن جحافل الخطابــة وكتائــب الذِّرابة ، في عقود النظام وصفوف الانتظام ، تنافح بالصفيح الأبــلج والقويم الأملج ، وتمتلج المهج برواضع الحجج ، فتفلّ مِن دعارة الوساوس ، وتصيب مقاتل الخوانس . فما أنا إلا والحق منتصر والباطل منكسر ، ومَرْج الشكّ في خمــود ، وهَرْج الرَّيب في ركود . وأنّ مدبّر تلك الدولة وباسل تلك الصولة ، هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

بــل كنت كلما انتقلت مِن موضع إلى موضع أحسّ بتغيّر المشاهد ، وتحوّل المعــاهد .. فتارة كنتُ أجدُني في عالَم يعمره مِن المعاني أرواحٌ عالية ، في حُلل مِن العــبارات الزاهــية ، تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو مِن القلوب الصافية ، توحــي إلــيها رشادها ، وتقوِّم منها مرادها ، وتَنْفُر بها عن مداحض المزالّ ، إلى جوادِّ الفضل والكمال ...

وأحــياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لا يشبه خَلقاً جسدانياً ، فصلَ عن الموكب الإلهي ، واتصل بالروح الإنساني ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة ، وسما به إلى الملكوت الأعلى ، ونما به إلى مشهد النور الأجلى ، وسكن به إلى عمار (أي جمال) جانب التقديس ، بعد استخلاصه مِن شوائب التلبيس .

وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعــرّفهم مواقــع الصــواب ، ويبصّرهم مواضع الارتياب ، ويحذّرهم مزالق الاضطراب ، ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم إلى منصّات الرئاسة ، ويُصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير . ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله مِن كلام

سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، جمعَ متفرّقه ، وسماه بهذا الاسم (نهج البلاغة) " .

ويتابع الشيخ محمد عبده كلامه عن نهج البلاغة قائلاً [1] :

" ولا أعلم اسما أليق بالدلالة على معناه منه . وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دلّ عليه اسمه ، ولا أن آتيَ بشيء في بيان مزيّته فوق ما أتى به صاحب الاختيار (يقصد الشريف الرضي) . ولولا أن غرائز الجبلّة وقواضي الذمّة ، تفرض علينا عرفان الجميل لصاحبه ، وشكر المحسن على إحسانه ، لما احتجنا إلى التنبيه على ما أودع نهج البلاغة من فنون الفصاحة ، وما خُصّ به من وجوه البلاغة ، خصوصاً وهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا أصابه ، ولم يدعْ للفكر ممرّاً إلا جابه ".

كلمة محمد محي الدين عبد الحميد :

- ويقول محمد محي الدين عبد الحميد محقّق شرح النهج :

" هو الكتاب الذي ضمّ بين دفتيه عيون البلاغة وفنونها ، وهيأت به للناظر فيه أسباب الفصاحة ، ودنا منه قطافها ، إذ كان من كلام أفصح الخلق – بعد الرسول (ص) – منطقاً ، وأشدّهم اقتداراً ، وأبرعهم حجّة ، وأملكهم للغة ، يديرها كيف شاء . الحكيمُ الذي تصدر الحكمة عن بيانه ، والخطيب الذي يملأ القلبَ سحرُ لسانه ، والعالم الذي هيأ له من خلاط الرسول وكتابة الوحي ، والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حداثته ، ما لم يتهيأ لأحد سواه ".

---

[1] المصدر السابق .

كلمة محمد أبو الفضل إبراهيم :

- ويقول محمد أبو الفضل إبراهيم محقق شرح ابن أبي الحديد :

" ومـــنذ أن صدر هذا الكتاب عن جامعه ، سار في الناس ذكره ، وتألّق نجمه ؛ أشـــأمَ وأعرقَ ، وأنْجَدَ وأتْهَم ، وأُعجب به الناس حيث كان ، وتدارسوه في كل مكان ، لِما اشتمل عليه مِن اللفظ المنتقى والمعنى المشرق ، وما احتواه مِن جوامع الكـــلم ونوابـــغ الحكم ، في أسلوب متساوق الأغراض ، محكم السبك ، يعدّ في الذروة العليا مِن النثر العربي الرائع "[1].

كلمة شكيب أرسلان :

- ويقول الأمير شكيب أرسلان :

" إن نهج البلاغة مِن كلام أمير المؤمنين دون شكّ ، وإن الشريف الرضي لو قُسِّم أربعين رجلاً ، ما استطاع أن يأتي بخطبة واحدة قصيرة مِن خطب النهج ".

كلمة ناصيف اليازجي :

- ويقول عبد المسيح :

إن شـــيخه ناصيف اليازجي قال له : " ما أتقنتُ الكتابة إلا بدرس القرآن العظيم ونهج البلاغة القويم ، فهما كنْز العربية الذي لا ينفد ، وذخيرها للمتأدّب . وهـــيهات أن يظفر أديب بحاجته مِن هذه اللغة الشريفة إن لم يحيِ لياليه سهراً في مطالعتهما ، والتبحّر في عالي أساليبهما ".

كلمة الشيخ محمود شكري الآلوسي :

- ويقول أبو الثناء محمود شكري الآلوسي :

---

[1] مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع القاهرة ، ص ٧ .

(نهـــج البلاغة) الكتاب المشهور ، الذي جمع فيه السيد الرضي الموسوي خُطب الأمير كرم الله وجهه ، وكتبه ومواعظه وحكمه ، وسمّي (نهج البلاغة) لَمّا أنـــه قـــد اشتمل على كلام يخيّل أنه فوق كلام المخلوقين ، ودون كلام الخالق عـــزّ وجل ، قد اعتق مرتبة الإعجاز ، وابتدع أبكار الحقيقة والمجاز . ولله در المرحوم عبد الباقي العمري حيث قال :

ألا إنّ هذا السفر (نهج البلاغة) لِمُنتهجِ العرفانِ مسلكُه جَـــلي [1]
على قُممٍ مِن آل حرب ترفّعتْ كجلمود صخرٍ حطّه السيل مِن (علي)

ويقـــول الآلوسي : هذا كتاب (نهج البلاغة) قد استودع مِن خُطب الإمام عـــلي بـــن أبي طالب سلام الله عليه ، ما هو قبس مِن نور الكلام الإلهي ، وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي " [2].

كلمة السيد هبة الدين الشهرستاني :

- ويقول العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني [3] :

" نهـــج البلاغة كتاب عربي اشتهر في مملكة الأدب الأممي اشتهار الشمس في الظهيرة . وهو صدفُ لآلٍ مِن الحكم النفيسة ، ضمّ بين دفتيه مِن يواقيت الحكمة وجوامع الكلم ، لإمام الكلّ في الكلّ ، أمير المؤمنين (ع) . وذلك المختار مِن لفظه الحر وكلماته الغُرّ ، وما جادت به يراعته الدفّاقة مِن لؤلؤ رطب ، ودرّ نضيد ".

ويقول أيضاً عن النهج [4] :

---

(1) الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية ، لأبي الثناء الآلوسي ، ص ١٣٣ .

(2) بلوغ الأرب ، ج٢ ص ١٨٠ .

(3) كتيّب (ما هو نهج البلاغة ؟) للعلامة هبة الدين الشهرستاني – مطبعة النعمان بالنجف ، ص ٥ .

(4) المصدر السابق ، ص ٨ .

" وليس إعجاب الأدباء بانسجام لفظه وحده ، ولا دهشة العلماء مِن تفوّق معانيه البليغة حدّ الإعجاز فقط ، وإنما الإعجاب كله والدهشة كلها في تنوّع المناحي في هذه الخطب والكلم ، واختلاف المرامي والأغراض فيها ؛ فمِن وعظ ونصح وزهد وزجر ، إلى تنبيه حربي واستنهاض للجهاد ، إلى تعليم فني ودروس ضافية في هيئة الأفلاك وأبواب النجوم ، وأسرار من طبائع كائنات الأرض وكامنات السماء ، إلى فلسفة الكون وخالقه ، وتفنّن في المعارف الإلهية ، وترسّل في التوحيد وصفة المبدأ والمعاد ، إلى توسّع في أصول الإدارة وسياسة المدن والأمم ، إلى تثقيف النفوس بالفضائل وقواعد الاجتماع وآداب المعاشرة ومكارم الأخلاق ، إلى وصف شعري لظواهر الحياة وغير ذلك مِن شتى المناحي ، المتجلية في نهج البلاغة بأرقى المظاهر . والإمام نراه الإمام في كلّ ضرب مِن ضروب الاتجاه ، وعبقرية الإمام ظاهرة التفوق على الجميع . بينما نرى أفذاذ الرجال يجدّون في أوجه الكمال ، فلا يبلغونه إلا مِن الوجه الواحد .

إلى أن يقول :

فكم يعود الأسف بليغاً إذا نبذنا مثل هذا الكتاب وراءنا ظهرياً ، وحرمنا النشء مِن فنون بيانه ، وتركناه صِفر الكف مِن شذور عقيانه ، عكس ما لو تثقّف بدراسته ؛ دراسةَ تفقّه واستحضار ، وتدبير واستظهار ، فندّخر بهذا ومثله لأفلاذ أكبادنا كنزاً مِن الحكمة ، أو جنّة باقية وجُنّة واقية ، تقيهم في مزالق الإنشاء ، وتملّكهم مقاليد البلاغة في البيان ، والبيان مِن أهمّ عوامل الحياة . ولِمَ لا نصغي لنداء مرشدنا الروحي الذي يخاطبنا مِن صميم ضمير الحرّ بداعية الهداية ، وما هو – لو أنصفناه – إلا أستاذ الكلّ في الكل ، يلقّن العالم نتائج المعارف العالية ، ويلقي دروسه على صفوف مِن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، بلهجة مِن لغة الضاد ، رقّت وراقت ، فلا يوجد أجمل منها حُسناً وبهاء .

كلمة أمين نخلة :

• ويقــول الأستاذ أمين نخلة في جواب مَن سأله أن يختار له مائة كلمة من كلمات الإمام علي (ع) :

" سألتني أن أنتقي مئة كلمة مِن كلمات أبلغ العرب – أبي الحسن – تخرجها في كـتاب ، ولـيس بين يديّ الآن مِن كتب الأدب التي يُرجع إليها في مثل هذا الغرض إلا طائفة قليلة منها إنجيل البلاغة (النهج) ، فرحتُ أسرّح إصبعي فيه ، ووالله لا أعـرف كيف أصطفي لك المئة مِن مئات ، بل الكلمة مِن كلمات ، إلا إذا سلختُ الياقوتة عن أختها الياقوتة ، ولقد فعلت ويدي تتقلب على اليواقيت ، وعـيني تغـوص في اللمعان ، فما حسبتني أخرج مِن معدن البلاغة بكلمة ، لفرط ما تحـيّرتُ في التخير ، فخذ هذه (المئة) وتذكّر أنها لمحات مِن نور ، وزهرات مِن نَور ، ففي نهج البلاغة مِن نِعم الله على العربية وأهلها أكثر بكثيرٍ مِن مئة كلمة "...

كلمة زكي المبارك :

• ويقـول الأسـتاذ زكي المبارك :" وهناك خدمة ثانية أدّاها كتاب (نهج البلاغة) للغة العربية ، فقد كان فرصة ثمينة لحركة الأفهام والعقول .

فإن ذكرتم أن (نهج البلاغة) شُرح نحو أربعين مرة ، وأن فيه فصولاً ترجمت إلى بعـض اللغات الغربية والشرقية .. وأنه فتح أمام النقد أبواباً ومذاهب .. وأنه أشـهر مجموعـة ، وأكبر مجموعة حُفظت منسوبةً إلى عصر الخلفاء .. وأنه شرّق وغـرَّب ، ولم تخـلُ منه مكتبة عربية أو أعجمية مِن المكتبات التي تستوفي أصول المـراجع . إن ذكرتم كلّ هذه الخصائص ، عرفتم أن الشريف خدم الأدب واللغة والأخلاق ، بجمع أصول ذلك الكتاب "[1].

---

[1] مصادر نهج البلاغة وأسانيده تأليف السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، ج١ ص ٢٠٠ طبع دار الأضواء بيروت

ويقول زكي المبارك : وإني لأعتقد أن النظر في كتاب (نهج البلاغة) يورث الـــرجولة والشهامة وعظمة النفس ، لأنه مِن روح قهّارٍ ، واجهَ المصاعب بعزائم الأسود [1].

ويقـــول : " لا مفـــرّ من الاعتراف بأن (نهج البلاغة) له أصل ، وإلا فهو شاهد على أن الشيعة كانوا من أقدر الناس على صياغة الكلام البليغ " [2].

كلمة المدرّس محمد حسن نائل المرصفي :

● ويقول محمد حسن نائل المرصفي مدرس البيان بكلية الفرير الكبرى بمصر عن نهج البلاغة :

" ذلك الكتاب الذي أقامه الله حجة واضحة على أن علياً رضي الله عنه ، قد كـــان أحسن مثال حيّ لنور القرآن وحكمته وعلمه وهدايته وإعجازه وفصاحته . اجـــتمع لعـــلي (ع) في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء وأفذاذ الفلاسفة ونوابـــغ الربانيين ، من آيات الحكمة السامية ، وقواعد السياسة المستقيمة ، ومِن كـــلّ موعظة باهرة وحجة بالغة ، تشهد له بالفعل وحسن الأثر . خاض عليٌّ في هذا الكتاب لُجّة العلم والسياسة والدين ، فكان في كلّ هذه المسائل نابغة مبرّزاً . ولئن سألت عن مكان كتابه مِن الأدب – بعد أن عرفتَ مكانه مِن العلم – فليس في وسع الكاتب المسترسل والخطيب المصقع والشاعر المفلّق ، أن يبلغ الغاية في وصفه ، والنهاية من تقريظه . وحسبنا أن نقول : إنه الملتقى الفذّ الذي التقى فيه : جمال الحضارة وجزالة البداوة ، والمترل الفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسها مترلاً ، تطمئن فيه وتأوي إليه ، بعد أن زلّت بها المنازل في كلّ لغة " [3].

---

[1] عبقرية الشريف الرضي لزكي المبارك ، ج١ ص ٢٩٦ .

[2] مصادر نهج البلاغة وأسانيده تأليف السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، ج١ ص ٨٧ .

[3] جولات إسلامية للأستاذ محمد أمين النواوي ، ص ٩٨ عن مقدمة المرصفي لشرحه على نهج البلاغة .

كلمة الأستاذ محمد أمين النواوي :

● ويقول محمد أمين النواوي :

" حفـــظ عـــلي القرآن كله ، فوقف على أسراره ، واختلط به لحمه ودمه . والقارئ يرى ذلك في (نهج البلاغة) ، ويلمس فيه مقدار استفادة علي مِن بيانه وحكمته . وناهيك بالقرآن مؤدّباً ومهذّباً ؛ يستنطق الأبكم ، فيفتّق لسانه بالبيان الساحر ، والفصاحة العالية ؛ فكيف إذا كان مثل علي (ع) في خصوبته وعبقريته واستعداده ، ممن صفتْ نفوسهم ، وأعرضوا عن الدنيا وأخلصوا للدين ، فجرت ينابـيع الحكمـــة مِن قلوبهم ، متدفّقة على ألسنتهم ، كالمحيطات تجري بالسَّلِس العذب مِن الكلمات ؟.

لقد كان علي في خطبه المتدفقة يمثل بحراً خضمّاً مِن العلماء الربانيين ، وأسلوباً جديداً لم يكن إلا لسيد المرسلين ، وطرقَ بحوثاً مِن التوحيد لم تكن تخضع في الخطابة إلا لمـثله ، فهـــي فلسفة سامية لم يعرفها الناس قبله ، فدانت لبيانه ، وسلست في منطقه وأدبه .

وخـــاض في أســـرار الكـــون ، وطـــبائع الناس ، وتشريح النفوس ، وبيان خصائصها وأصنافها . وعرض لمداخل الشيطان ومخارجه ، وفتن الدنيا وآفاتها . وفي المـــوت وأحوالـــه ، وفي بدء الخلق ، ووصف الأرض ، وفي شأن السماء وما يعـــرج فـــيها مِن أملاك ، وما يحفّ بها مِن أفلاك ، كما عرض لملَك الموت وأطال في وصفه .

ولم يفته أن ينوّه في خطبه بأنصار الحق ، وأعوان الخير ، والدعوة إلى الجهاد ، وفيها محاجّة للخوارج ونصحه لهم ولأمثالهم ، باتّباع الحق ...

هـــذا إلى أنه طرق نواحي مِن القول كانت مِن خواص الشعر إذ ذاك ، ولكنه ضـــمّنها خطـــبه ؛ فوصـــف الطـــب ، وعرض للخفاش وما فيه مِن عجائب ،

والطـــاووس ومـــا يحويه مِن أسرار ، وما في الإنسان مِن عجائب الخلق ، وآيات المبدع الحق ، وأحيلك في ذلك كله على (نهج البلاغة) .

وهكـــذا تجـــد في كـــلام علي (ع) الدين والسياسة ، والأدب والحكمة ، والوصف العجيب ، والبيان الزاخر " [1].

---

[1] جولات إسلامية للأستاذ محمد أمين النواوي ، ص ٩٩ – ١٠٤ .

الردود على المتشكّكين في نهج البلاغة

والآن نباشـــر في إثـــبات الردود على الذين شكّكوا في صحة نهج البلاغة ، ومـــنهم الدكتور حامد حفني داود ، وابن أبي الحديد ، ومحي الدين عبد الحميد ، والعلامـــة السيد محسن الأمين ، والأستاذ أديب التقي ، والشيخ الهادي كاشف الغطاء .

ردّ الدكتور حامد حفني داود

يقول الدكتور حامد حفني داود أستاذ كرسي الأدب العربي بجامعة عين شمس في القاهرة ، في الكراس الذي قدّمه في المهرجان الألفي لنهج البلاغة الذي عقد في طهران سنة ١٩٨٥ ، تحت عنوان [نهج البلاغة – توثيقه ونسبته إلى الإمام علي عليه السلام] :

اعـــتاد الناس مِن قديم الزمن أن يشكّوا في الأعمال العظيمة ، وكأن دافعاً مِن الرواسب النفسية وما ينشأ عنها مِن حسد ومكابرة يدفعهم دفعاً حثيثاً إلى هذا البهتان العظيم .

فشـــكّ بعض المستشرقين في نسبة القرآن إلى البارئ سبحانه ، وزعموه لمحمد عليه السلام ، وقد شكّ كفار مكة مِن قبل في نسبة القرآن . وانتقلت عدوى هذه التخرصات إلى العصور المتأخرة ، فشكّ رعيل مِن المغرضين في نسبة نهج البلاغة إلى الإمـــام عـــلي (ع) . وكان أول مَن دفع عجلة الشكّ في نهج البلاغة قاضي القضاة في مصر شمس الدين أحمد بن خلّكان الإربلي البرمكي .

وجاء المُحْدَثون فاتجه أكثرهم هذا الاتجاه المدمّر ، وكان في مقدمتهم طه حسين . وربما نأخذ بعض العذر لطه حسين بالذات ، لأنه اتّبع منهج الشكّ في كلّ شيء يمتّ إلى التراث ... ولكن مريديه وتلاميذه الذين استولى طه حسين على أفئدتهم وأذاب شخصيتهم في شخصيته ، اتجهوا بلا وعي إلى منهج الشكّ ، الذي ارتآه في كلّ ما يمتّ إلى التراث بصلة . وكان أحمد أمين أول مَن رفع عقيرته بالشكّ في نهج البلاغة ، وتبعه تلميذه الدكتور شوقي ضيف ، وأخذ عنه هذا الاتجاه ...

وبإزاء هذا المعسكر الشاكّ في نهج البلاغة بغير بيّنة أو هدف سليم ، ظهر معسكر آخر يعارض الأول ، ويتناول هذا السفر بعين الإنصاف والرويّة .

ومنهم مَن أشار إلى بلاغة الإمام إشارة عامة ، تتناول كلّ ما عُرف عنه (ع) مِن نثر بليغ ، كابن نباتة المصري ، وسبط ابن الجوزي ، ومحمد بن طلحة الشافعي ، وعبد الحميد الكاتب . واختار الجاحظ ، والخطيب الخوارزمي ، وأبو الفتح الآمُدي ، نُتفاً كثيرة مِن كلامه البليغ .

وفاق العلامة ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي جميع مَن سبقوه حين شرح النهج ، واعتبر كلام الإمام علي (ع) في المرتبة الثانية بعد كلام الله وكلام رسوله (ع) .

وأُعجب جهابذة المعاصرين مِن الأدباء والشعراء والكتّاب وكبار الباحثين بنهج البلاغة ، منهم : الشيخ محمود شكري الآلوسي ، والشيخ ناصيف اليازجي ، ومحمد حسن نائل المرصفي ، والدكتور زكي مبارك ، وأمين نخلة ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد محي الدين عبد الحميد ، وكثير ممن آثروا البناء على الهدم ، وحرّروا عقولهم مِن ربقة التقليد لدعاة الشكّ في التراث الإسلامي الخالد .

ومن الذين تصدّوا للردّ على الشبهات التي أثيرت حول نهج البلاغة الأستاذ امتياز علي عرشي في كتابه (استناد نهج البلاغة) ، والأستاذ حسين بستانة في بحثه

عـــن (الشبهات الحائمة حول النهج) ، والسيد هبة الدين الشهرستاني في كتابه (ما هو نهج البلاغة ؟) ، والشيخ هادي آل كاشف الغطاء في كتابه (مدارك نهج البلاغة) .

وكـــان السيد الخطيب عبد الزهراء الحسيني مِن أشدّ الباحثين عناية بفهرسة مصادر النهج وأكثر جمعاً لها في كتابه القيّم (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) أربعة مجلدات .

ثمّ انتقل الدكتور حامد حفني داود إلى الحديث حول إقامة الدليل على صحة نســـبة نهج البلاغة وتوثيقه مِن طريقين : الدليل العقلي ، والدليل النقلي ، فأجاد وأولى .

ردّ ابن أبي الحديد شارح النهج

جـــاء في أول شـــرح نهـــج البلاغة لابن أبي الحديد ، تحقيق الشيخ محمد أبو الفضل إبراهيم ، في المقدمة التي كتبها الشيخ قوله :

ولم يذكـــر الشريف الرضي في صدر كتابه (نهج البلاغة) المصادر التي رجع إليها ، أو الشيوخ الذين نقل عنهم ...

وعـــلى مـــرّ العصور والأزمان كانت نسبة ما في النهج إلى الإمام علي (ع) مثاراً للشكّ عند العلماء والباحثين ؛ المتقدمين والمتأخرين .

وقد تناول ابن أبي الحديد المعتزلي هذه القضية بالبحث ، فقال [١]:

" كـــثير مِن أرباب الهوى يقولون : إن كثيراً مِن نهج البلاغة كلام محدَث ، صـــنعه قـــوم مِن فصحاء الشيعة ، وربما عزَوا بعضه إلى الشريف الرضي وغيره ؛

---

[١] ورد هذا الكلام في شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج١٠ ص ١٢٨ و١٢٩ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ بمصر عام ١٩٦٥ .

وهــؤلاء قوم أعمت العصبيّة أعينهم ، فضلوا عن النهج الواضح ، وركبوا بُنَيّات الطريق (أي شعبه الضيقة التي تتفرع عنه) ، ضلالاً وقلة معرفة بأساليب الكلام .

وأنا أوضّح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط ، فأقول :

لا يخلو إما أن يكون كلّ (نهج البلاغة) مصنوعاً منحولاً ، أو بعضه .

والأول باطل بالضرورة لأنا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين علـيه السـلام ، وقد نقل المحدِّثون - كلهم أو جُلّهم - والمؤرخون كثيراً منه ، وليسوا مِن الشيعة لينسَبوا إلى غرض في ذلك .

والثاني يدل على ما قلناه ، لأن مَن قد أنِسَ بالكلام والخطابة ، وشدا طَرَفاً مِن علم البيان ، وصار له ذوق في هذا الباب ، لابدّ أن يفرّق بين الكلام الركيك والفصـيح ، وبـين الفصيح والأفصح ، وبين الأصيل والمولّد ، وإذا وقف على كـرّاس واحد يتضمّن كلاماً لجماعة مِن الخطباء ، أو لاثنين منهم فقط ؛ فلابدّ أن يفرّق بين الكلامين ، ويميّز بين الطريقتين . ألا ترى أنّا مع معرفتنا بالشعر ونقده ، لـو تصفّحنا ديوان أبي تمّام ، فوجدناه قد كُتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغـيره ، لَعرفنا بالذوق مباينتَها لشعر أبي تمام ونَفَسه ، وطريقته ومذهبه في القريض : ألا تـرى أن العـلماء بهـذا الشأن حذفوا مِن شعره قصائد كثيرة منحولة إليه ، لمباينـتها لمذهـبه في الشعر ، وكذلك حذفوا مِن شعر أبي نُواس شيئاً كثيراً ، لِما ظهـر لهـم أنه ليس مِن ألفاظه ولا مِن شعره ، وكذلك غيرهما مِن الشعراء ، ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة .

وأنـت إذا تأمّلت (نهج البلاغة) وجدتَه كلّه ماءً واحداً ، ونفَساً واحداً ، وأسـلوباً واحـداً ، كالجسـم البسيط الذي ليس بعضٌ مِن أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعـاض في الماهيّة ، وكالقرآن العزيز ، أوله كأوسطه ، وأوسطه كآخره ، وكلّ

سورة منه وكلّ آية ، مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور .

ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً ، لم يكن ذلك كذلك . فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلالُ مَن زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

واعلم أن قائل هذا القول يطرُق على نفسه ما لا قِبَل له به ، لأنّا متى فتحنا هذا الباب ، وسلّطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو ، لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبداً ، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول : هذا الخبر منحول ، وهذا الكلام مصنوع . وكذلك ما نُقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك . وكل أمر جعله هذا الطاعن مستنَداً له فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة الراشدين ، والصحابة والتابعين ، والشعراء والمترسّلين ، والخطباء ؛ فلناصري أمير المؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من (نهج البلاغة) وغيره ، وهذا واضح ".

ردّ محمد محي الدين عبد الحميد

يقول الأستاذ المحقق [1] : وليس مِن شكّ عند أحد من أدباء هذا العصر . ولا عند أحد ممن تقدّمهم ، في أن أكثر ما تضمّنه (نهج البلاغة) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام . نعم ليس مِن شكّ عند أحد في ذلك . وليس من شكّ عن أحد في أن ما تضمّنه الكتاب جارٍ على النهج المعروف عن أمير المؤمنين ، موافق للأسلوب الذي يحفظه الأدباء والعلماء مِن كلامه الموثوق نسبته إليه ، ولكن بعض

[1] شرح النهج للشيخ محمد عبده ، طبعة مصر الأولى ، الصفحة (ج) من المقدمة .

المعـــروفين مِن أدباء عصرنا يميلون إلى أن بعض ما في الكتاب مِن خطب ورسائل لم يصدر عن غير الشريف الرضي جامع الكتاب ، هو منشئه ، وهو مدّعي نسبته إلى الإمـــام . وهـــم في ذلك يترسّمون خطوات بعض المتقدمين ممن قرب مِن عهد الرضي ومَن بَعُد عنه . فقد سبق إلى التشكّك في شأن الكتاب واستبعاد نسبة جميع مـــا فيه إلى الإمام علي رضي الله عنه ، قاضي القضاة أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر خلّكـــان ، صاحب كتاب (وفيات الأعيان) ، ولعل ابن خلّكان هو أول مَن أثار الشكوك في قلوب الباحثين بنسبة الكتاب إلى الشريف الرضي تأليفاً . ثمّ جاء مِن بعـــده صلاح الدين الصفدي وغيره مِن كتّاب التراجم فتابعوه على ذلك ، وحينئذ قويَ الشكّ وتمكّن [1].

ما هي المآخذ على نهج البلاغة ؟ :

وأهـــمّ ما يجده باحثو الآداب العربية في هذا العصر مِن أسباب يدعمون بها القـــول بأن الكتاب مِن صُنع جامعه وتأليفه ، ذلك الذي نوجزه لك في الأسباب الأربعة الآتية :

(الأول) : أن في الكتاب مِن التعريض بصحابة رسول الله (ص) ما لايصحّ أن يســـلّم صدوره عن مثل الإمام علي ، كما تراه في ثنايا الكتاب مِن سباب معاوية وطلحة والزبير وعمرو بن العاص ، ومَن ذهب إلى تأييدهم والدفاع عن سياستهم .

(الثاني) : أن فيه مِن السجع والتنميق اللفظي وآثار الصنعة ما لم يعهده عصر علي ولا عرفه ، وإنما ذلك شيء طرأ على اللغة العربية بعد العصر الجاهلي وصدر

---

(1) بذر قاضي القضاة شمس الدين ابن خلّكان بذرة التشكيك في نهج البلاغة وفيمن جمعه ، في كتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ج٣ ص ٣ . ثمّ جاء مِن بعده كلّ مِن الصَفدي في (الوافي بالوفيات) ، واليافعي في (مرآة الجنان) ج٣ ص ٥٥ ، والذهبي في (ميزان الاعتدال) ج١ ص ١٠١ ، وابن حجر في (لسان الميزان) ج٤ ص ٢٢٣ ، وغير أولئك مِن القدامى والمحدثين ، فتابعوه على هذا الرأي بلا حجة ولا دليل ، سوى الافتراء والبهتان ..

الإسلام ، وافتتن به أدباء العصر العباسي ، والشريف الرضي جاء من بعد ذلك على ما ألفوه ، فصنّف الكتاب على نهجهم وطريقتهم .

(الثالث) : أن فيه مِن دقة الوصف ، واستفراغ صفات الموصوف ، وإحكام الفكرة ، وبلوغ النهاية في التدقيق ، كما تراه في وصف الخفّاش والطاووس والنملة والجرادة ، وكل ذلك لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول ولا أدباؤه وشعراؤه ، وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية والحكمية .

ويدخل في هذا السبب استعمال الألفاظ الاصطلاحية التي عُرفت في علوم الحكمة مِن بعد ، كالأين والكيف ونحوهما ، وكذلك استعمال الطريقة العددية في شرح المسائل ، وفي تقسيمات الفضائل أو الرذائل ؛ مثل قوله (الاستغفار على ستة معان) و (الإيمان على أربع دعائم) و (الصبر منها على أربع شُعب ...) .

(الرابع) : أن في عبارات الكتاب ما يُشمّ منه ريح ادّعاء صاحبه علم الغيب ، وهذا أمر يجلّ عن مثله مقام علي ، ومَن كان على شاكلة علي ، ممن حضر عهد الرسالة ورأى نور النبوّة .

الردّ على هذه الدعاوى

ولسنا – عَلِمَ الله – ممن يرى في هذه الأسباب مجتمعة أو منفردة ، دليلا أو شبه دليل على ما ذهب إليه أنصار هذه الفكرة ، وقد نغالي إذا نحن اعتبرناها شُبَهاً تعرض للبحث ، ويتكلّف الباحث ردَّها . ولكنا – مع هذا – لا نبخل أن نقول كلمة موجزة في شأن كلّ سبب مِن هذه الأسباب ، حتى يتيسّر لنا الوقت الذي نُظهر فيه بحثاً متشعّب المناحي فِي هذه المسألة ، إنشاء الله .

الردّ على السبب الأول :

أما عن السبب الأول ، فقد يعلم كلّ مَن شدا شيئا مِن التاريخ والأدب ، أن الإمام علياً رضي الله عنه ، أصيب بموت النبي (ص) وهو مربيه وابن عمه وأبو زوجته ، وهو في الثلاثين مِن عمره أو يزيد قليلا . فهو شاب له حدّة الشباب وتوثّبه ونشاطه وطموحه . وقد كان له – مع ذلك – مِن حصافة الرأي وسعة العلم ونفاذ البصيرة وسائر وسائل الاجتهاد ، مثل ما كان لشيوخ الصحابة وأكابرهم . وهو أيضا مُدلّ بمواقفه الكثيرة في الذياد عن حوض الدين والدفاع عن حوزته ، مُدل بتضحياته العظمى في غير مَنٍ ولا استكثار لها . فهو إذن محزون ، كسير القلب ، راغب في الترفيه عن نفسه ، محبّ للاعتراف بمواقفه المعروفة . ولم يكن يبلغ به طموحه إلى الانتقاض على جماعة المسلمين بعد الذي بذل في تأليفها ولَمِّ شَعَثها ، ولكنه قدكان يكفيه أن يتّخذه مشيخةُ المسلمين مشيرا ، يشاركهم الرأي ويمحضهم النصح . والظاهر أن فتنة الخلافة التي ابتلي بها المسلمون ، والرسول مسجّى على سريره ، كانت تستوجب هذه السرعة التي خاض غمارها رجلا الإسلام وشيخاه : أبوبكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما . والإمام علي حينذاك مشغول بتعزية زوجه فاطمة عما أصابها ، فحصل مِن سوء التفاهم ما لابدّ عنه في مثل هذا الموقف ... وصبر علي رضي الله عنه ، حتى دارت الأيام دورتها وأفضت الخلافة إليه ، وحينئذ لم يجد أمامه مِن يصحّ أن يؤثره على نفسه . ووقف معاوية مِن الإمام موقفه المشهور ، فكانت بينهما مناضلات بالكلام مرة ، وبالحسام مرة أخرى . وإن السبب الذي يسيغ لأدبائنا أن يعترفوا بقتالهم وصراعهم وتجالدهم في مواقف القتال ، هو بعينه السبب الذي نستسيغ مِن أجله أن يكتب لهم داعياً إلى التسليم له ، محتجّاً بسابقته ورسوخ قدمه . ولقد كنا نتكلم في هذا الموضوع مرة ، فقال أحد إخواننا : أنا لا أفهم معنى لإنكار بعض

الـــناس أن يقـــول علي في معاوية وعمرو بن العاص ، وهم يؤمنون بأنه حاربهما ودعاهما إلى مبارزته !.

ومن أجل ذلك كان تعريضه بالموقف الأول ممزوجاً بالرفق واللين والهوادة ، وكان تعريضه بالموقف الثاني شديداً عنيفاً .

الردّ على السبب الثاني :

وأما عن السبب الثاني ، فليس ما في الكتاب كله سجعا ، وما فيه مِن السجع فهو مما لم تَدْعُ إليه الصنعة ، ولا اقتضاه الكلف بالمحسنات ، وأكثره مما يأتي عفواً بـــلا كدّ خاطر ، ولا تجشّم هول ، ومثله في عبارات عصره واقع . ومَن عرف أن ابن أبي طالب كان حامي عرين الفصاحة وابن بجدهًا ، لم يعسر عليه التسليم .

الردّ على السبب الثالث :

وأمـــا عن السبب الثالث ، فإنا لا نقضي العجب مِن جعله سببا لهذه الدعوى ، ومـــتى كانـــت دقة التخيّل وإجادة الوصـف وقفاً على قوم دون قوم ؟!. أوليس الشـــعر العـــربي مملـــوءاً بدقة الوصف واستكماله ؟. ثمّ أليس لقرشيّ شهد تنزيل القـــرآن ، وصحب أفصح العرب منذ نعومة أظفاره ، وكتب له الوحي ، وسمع ما يفجّـــره الله تعالى على لسانه مِن ينابيع الحكمة ، أليس لهذا القرشي ميزة عن سائر الناس ؟؟!!.

الردّ على السبب الرابع :

وأما عن السبب الرابع ، فإنا لا نعتبر ما في الكتاب ، مِن ادّعاء علم الغيب ، وإنمـــا هو مِن استنتاج القضايا الاجتماعية مِن مقدماتها وأسبابها ، ومثل الإمام علي في دقة ذهنه وقوة عارضته ، خليق بالتمكن مِن هذا الاستنتاج " .

ثمّ يفصـــح الأســـتاذ محمد محي الدين عبد الحميد عن رأي الشيخ محمد عبده شارح النهج في ذلك فيقول :

" إنـــا نعتقد أنه رحمه الله كان مقتنعاً بأن الكتاب كله للإمام علي رحمه الله ، وإن لم يصرّح بذلك ... بل هو يتجاوز هذا المقدار إلى الاعتراف بأن جميع الألفاظ صـــادرة عن الإمام علي (ع) . وهو يذهب – فيما ظنّه أدباؤنا مِن علم الغيب – إلى نحو ما قررناه مِن أنه تفرُّس واستنتاج ".

ردّ حسن موسى الصفّار

يقول السيد حسن موسى الصفار في كتابه (رؤى الحياة في نهج البلاغة) ص ٢٠ تحت عنوان (حملة مغرضة) :

والذي يهمنا الآن هو مناقشة بعض الاعتراضات على نهج البلاغة ، وهي :

١– إنه مِن اختلاق الشريف الرضي ، وليس مِن كلام الإمام .

وهـــذا الاعتراض يتلاشى حينما نراجع كتب التاريخ والأدب التي ألفت قبل ولادة الشـــريف الرضي ، فنراها تتضمّن الكثير مِن خطب نهج البلاغة ورسائله وكلماته ، وعليها اعتمد الشريف الرضي في جمع النهج .

فمـــثلاً وردت بعـــض خطب النهج في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ ، المتوفى سنة ٢٥٥ هـــ .

وفي كتاب (صفين) لنصر بن مزاحم ، المتوفى سنة ٢٠٢ هـــ .

وفي كتاب (تاريخ الطبري) المتوفى سنة ٣١٠ هـــ .

وفي كتاب (الأغاني) للإصفهاني ، المتوفى سنة ٣٥٦ هـــ .

علماً بأن الشريف الرضي توفي سنة ٤٠٦ هـــ ، فكيف يصحّ أنه اختلق شيئاً موجوداً في كتب مَن ماتوا قبل ميلاده ؟.

٢- إن فيه ذماً لبعض الصحابة ، لا يمكن أن يصدر من الإمام (ع) .

والجـــواب أن الإمـــام (ع) يعتـــنق رأي الإسلام ، الذي يرى أن المبادئ هي المقـــياس ولـــيس الأشـــخاص . يقول (ع) : " إن الحقّ والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال . اعرفِ الحقّ تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف أهله ".

فأي شخص يلتزم بالمبادئ يقدَّس ويحترم ولو كان عبداً يعيش في القرن الرابع عشـــر بعـــد النبي (ص) ، وأي شخص خالف المبادئ وانحرف عنها يجب أن يذمّ ويستبعد ولو كان يعيش مع النبي في بيت واحد ﴿ فإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾.

٣- إن في نهج البلاغة أخباراً عن أشياء غيبيّة ، مع اعتقادنا أنه لا يعلم الغيب إلا الله .

وتـــذوب هذه الشبهة حينما نقرأ في نهج البلاغة أن رجلاً مِن بني كلب سمع الإمـــام (ع) يتحدث عن بعض المغيبات ، فقال : لقد أُعطيتَ يا أمير المؤمنين علم الغيب !. فضحك (ع) وقال : يا أخا كلب ، ليس هو بعلم غيب ، وإنما هو تعلّم مِن ذي علم .. علّمه اللهُ نبيَّه فعلَّمَنيه ، ودعا لي بأن يعيه صدري .

وهـــل هـــناك مانع مِن أن يخبر الله نبيّه بالمغيبات والقرآن ؟. يقول سبحانه : ﴿ ذلـــك مِن أنباء الغيب نوحيه إليك ﴾ . ثمّ هل هناك مانع مِن أن يخبر الرسول خليفته ووصيه ببعض تلك المغيَّبات ؟.

ردّ العلامة الأمين في الأعيان

يقـــول العلامة المجتهد السيد محسن الأمين في الجزء الأول مِن الأعيان [١] في الردّ على مَن شككوا في نهج البلاغة ، وعلى الأخص منهم أحمد أمين :

---

[١] أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ، ج١ ص ١٥٤ ، ط٢ عام ١٩٤٧ .

الحق أن الذين أظهروا الشكّ فيه ليسوا هم النقّاد ، فالنقاد يجزمون لأول وهلة بأن هذا الدرّ لم يكن ليخرج إلا مِن ذلك البحر ، وهذا الجوهر ليس إلا مِن ذلك المعدن . فنهج البلاغة له منه عليه شواهد . وإن الذي استوجب إظهار الشكّ ليس هو الأمور التي ذكرها أحمد أمين ، وإنما الذي استوجبه - كما قال الأمير شكيب أرسلان في مجمع اللغة العربية بدمشق - هو اشتماله على بعض الكلام في حقّ الصحابة المقدّسين في نظرهم ، والذين لا تقبل عقولهم أن يقول علي (ع) فيهم مثل هذا الكلام ، فالتجؤوا إلى إظهار التشكيك في الكتاب كله .

ويقول السيد الأمين في الجزء الثالث مِن الأعيان [1] :

وإذا تأملنا بعين البصيرة والإنصاف ، وجدنا أن الباعث لهؤلاء على إنكار نهج البلاغة كله أو بعضه ، إنما هو اشتماله على ما يعدّونه قدحاً في الصحابة المقدّسين مِن كلّ قدح ، كالذي اشتملت عليه " الخطبة الشقشقيّة " وغيرها ، واشتماله على ما يظهر منه التألّم ممن تقدّمه في الخلافة ، وإظهار أنه أحقّ بها منهم .

هذا هو الباعث لهم على الإنكار لا أقلّ ولا أكثر .

وقد أوضح عن هذا المعنى أمير البيان الأمير شكيب أرسلان في كلام له في مجمع مِن أفاضل دمشق المشهورين حين زارها بعد رجوعه مِن أوروبا بعد الحرب العامة ، فجرى ذكر نهج البلاغة ، فقال أحدهم : إنه موضوع على لسان علي ، ووافقه الباقون ، والأمير شكيب ساكت . فسألوه عن رأيه في ذلك ، فقال : إذا كان موضوعاً فمن هو واضعه ، هل هو الشريف الرضي ؟. قالوا : نعم . قال : إن الشريف الرضي لو قُسّم أربعين رجلاً ، ما استطاع أن يأتي بخطبة واحدة قصيرة

---

[1] المصدر السابق ، ج٣ قسم ٣ ص ١٠٥ .

مـــن خطـــب نهج البلاغة ، أو جملة مِن جمله . فنهج البلاغة مِن كلام أمير المؤمنين علـــي بـــن أبي طالب دون شكّ أو ريب ، ولكن الذي أوجب الشكّ فيه اشتماله على القدح في الصحابة الذين هم مقدّسون في أنظار الناس ، فسلّموا له ذلك ، فدلّ على عدم التثبّت ".

ردّ الأستاذ أديب التقي

قال الأستاذ أديب التقي في كتابه النفيس (الشريف الرضي) [1]:

وقـــد أُلّف في (نهج البلاغة) نحوٌ مِن خمسة وعشرين شرحاً ، أشهرها شرح العلامـــة المعتزلي عبد الحميد عز الدين ابن أبي الحديد المدائني ، المتوفى ببغداد سنة ٦٥٥ هـــ ، ويقع في أربعة مجلدات كبيرة (يقصد الطبعة القديمة) . وهو شرح لا يستغني عنه المتتبّع للعلوم الأدبية ، والباحث في التاريخ الإسلامي .

هذا وقد رأيت نسخة مخطوطة قـــيّمة مِن (نهج البلاغة) كتبت سنة ٤٠٠ هـــــ أي قبل وفاة الشريف الرضي بست سنوات ، قرأتها في بغداد في دار العلامة الكـــبير الســـيد هبة الدين الشهرستاني ، فوجدت الكثير الذي قرأته مطابقاً كلّ المطابقة لمثله مِن النسخة المطبوعة والمتداولة للأستاذ الإمام محمد عبده المصري ... وهـــذه النسخة وثيقة وحجة قاطعة على كلّ مَن يرى أن نهج البلاغة دُسَّ فيه بعد الرضي وأُلحق به ما لم يكن مِن جمع الرضي وتأليفه . فالذين يثيرون الشكوك حول مـــا في نهج البلاغة مِن بعض الخطب والكتب والكلمات ، لم يبقَ لهم إلا أن يتّهموا الشريف الرضي نفسه بالكذب والانتحال والدسّ ، وهذا لا يقدم عليه إلا جاهل

---

[1] الشريف الرضي لأديب التقي البغدادي ، ص ٩٥ ، ط ١ عام ١٩٦١ .

بقدر الرضي ، وغافل عن صفاته وأخلاقه ومقامه الديني والاجتماعي . ولو فرض المحال وصدر مثل ذلك مِن الرضي ، لوجد ألوف مِن رجال العلم والرواة يفنّدون ذلك ويردّونه ، وعصر الرضي زاخر بأفاضل الرجال وكرام العلماء الذين لا يسكتون على مثل هذا الدجل والزور ، وهذا الكذب والافتئات على ابن عم سيد المرسلين (ص) وأحد كبار الخلفاء الراشدين ، الذين بنوا هذا الدين ورفعوا منار الإسلام والعروبة .

بقي أن يكون الرضي اشتبه في النقل والتبس عليه كلام الإمام علي (ع) مِن غيره ، مما نسبه الرواة لعلي وهو ليس له ، فهذا تجوز المناقشة فيه والبحث عن أصوله ، وتحقيقه تحقيقاً علمياً يزيل الإشكال واللبس . ولست أظنّ الرضي مِن هذه الطبقة مِن النقلة الذين تخفى عليهم الرجال ويلتبس عليهم النقل ، ويعتاص عليهم التمييز بين كلام أفصح عربي بعد الرسول (ص) ، وكلام غيره مِن عامة الفصحاء والبلغاء . وهذا إن جاز على غير الرضي ، فعلى الرضي لا يجوز لِما عُرف فيه مِن التثبّت والعقل وحدة الذكاء والمعرفة المدعومة بالصدق والاستقامة .

وقد علمتُ أن بعض أهل العلم في النجف بالعراق كان آخذاً بجمع أصول نهج البلاغة وأسانيده ، ولعله نشرها .

(أقول) : نعم إنه العالم المحقّق المدقق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، الذي ألّف ذلك الكتاب تحت عنوان (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) وطبع عدة مرات في أربعة مجلدات .

كما ألف الشيخ الهادي كاشف الغطاء كتاب (مستدرك نهج البلاغة) وكتاب (مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه) .

ردّ الهادي كاشف الغطاء

يقول الشيخ الهادي كاشف الغطاء مؤلف المستدرك [1]:

إنــه مما لا مرية ولا ريب ، أن ما حواه نهج البلاغة من الكلام ، قد بلغ من البلاغة والفصاحة أقصى المراتب ، وركب منهما أعلى ذروة السنام . ولا تتفاوت أبعاضــه في جــزالة الألفاظ وجلالة المعاني ، وبديع الأسلوب وحسن السبك ، والانســجام والمتانة والرصانة ، فهو كسبيكة من لجين أفرغها صائغها الحاذق في قالــب واحد ، قد استوت خوافيه وقوادمه ، وأوائله وأواخره . قد شهد له أهل الــذوق والصناعة وأئمة الفن وأدباء كلّ عصر ، بكل فضيلة باهرة ومزية فاضلة وصــفة فائقــة ، وأنه دون كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوقين ، بعد كلام سيد المرسلين (ص) . فمَن يا ترى يكون أهلاً لهذا الكلام وحقيقاً به وجديراً بأن ينسب إليه ، غير الذي ما سَنَّ الفصاحة لقريش غيره ؟.

يقول الشيخ محمد عبده في مقدمة شرحه للنهج : وليس في أهل هذه اللغة إلا قائل بأن كلام الإمام علي بن أبي طالب (ع) هو أشرف الكلام وأبلغه – بعد كلام الله تعالى وكلام نبيّه (ص) – وأغزره مادة ، وأرفعه أسلوباً ، وأجمعه لجلائل المعاني .

ويقول الشريف الرضي في مقدمة النهج : " إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام ، مَشْــرع الفصاحة وموردها ، ومَنشأ البلاغة ومَولدها . ومنه (ع) ظهر مكنونها ، وعنه أُخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كلُّ قائل خطيب ، وبكلامه استعان كلَّ واعــظ بليغ . ومع ذلك فقد سبق وقصّروا ، وتقدّم وتأخّروا ؛ لأن كلامه عليه السلام الكلامُ الذي عليه مَسْحةٌ من العلم الإلهي ، وفيه عبقة من الكلام النبوي " .

---

[1] مستدرك نهج البلاغة للسيد الهادي كاشف الغطاء ، ص ١٩٩ طبع مكتبة الأندلس بيروت .

وقد ألّف الآمُدي مِن دُرر كلمه وغُرر حكَمه سفراً ضخماً ، قال في مقدمته : جمعتُ يسيراً مِن قصير حكمه ، وقليلاً مِن خطير كلمه ؛ تخرس البلغاء عن مساجلته ، وتبلس الحكماء عن مشاكلته . وما أنا في ذلك إلا كالمغترف في البحر بكفّه ، والمعترف بالتقصير وإن بالغ في وصفه ، وكيف لا وهو (ع) الشارب مِن الينبوع النبوي ، والحاوي بين جنبيه العلم اللاهوتِي ، إذ يقول وقوله الحق وكلامه الصدق : " إن بين جنبيَّ لَعلماً جَمّاً لو أصبتُ لَه حَمَلة ".

إلى غير ذلك مِن كلام ذوي العلم . فلا يليق بعدها أن ينسب هذا الكلام أو شيء منه إلى الشريف الرضي ، وإن بلغ ما بلغ ، وأنّى للرضي وغيره هذا النمط وهذا الأسلوب ؟!.

قال ابن الخشّاب : قد وقفنا على رسائل الرضي ، وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور ، وما يقع مِن هذا الكلام – يعني الشقشقيّة – في خلّ ولا خمر .

ويتابع السيد الهادي كاشف الغطاء كلامه قائلاً عن الشريف الرضي :

كما أنّا قد وقفنا على شيء مِن رسائله في الكتاب الموسوم (بالدرجات الرفيعة) ، فألفيناها لا تضاهي ذلك الطراز ، ولا تستقلّ على عدوة ذلك المجاز . ويمكنك أن تستعرض خطبة مِن نهج البلاغة وشيئاً مِن رسائل الشريف ، وتستجلي الديباجتين ، وتتذوّق الأسلوبين ، لترى مباينتها لكلام النهج ، ومخالفتها لطريقته وأسلوبه ، وتقاصرها عن شأوه ، وترى شعار التوليد عليها ظاهراً ، وأثره فيها بيِّناً . على أن الشريف الرضي ممن مارس كلام النهج وزاوله ، وأِلف طريقته وعرف أسلوبه وصياغته ، وربما سبرَ في أعماق خواطره فرائد مِن كلمه ، وغرر مِن فقَره ، تزكو بها قريحته ، ولكنه مع هذا كله ، لا يقتدر أن يأتِيَ بمثل كُتُبه ولا ببعض عهوده ، إلا ويكون مقاله بالنسبة إلى كلام أمير المؤمنين (ع) مهوى الأخمص مِن القمة ، وسُرّة الوادي مِن رأس الذروة ؛ لا يخفى ذلك على ذي خبرة ، ولا يشتبه على النيقد بأول نظرة .

الدفاع عن الشّقشقيّة

الشقشقيّة هي الخطبة الثالثة مِن خطب النهج ، وفيها يعرض الإمام (ع) ما فعل الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه ، ويبيّن أحقيّته بالخلافة .

يقول السيد الهادي كاشف الغطاء في (مدارك نهج البلاغة) ص ٢٣٧ :

وقد روى هذه الخطبة عن أمير المؤمنين (ع) جمعٌ كثير مِن أهل العلم بالأخبار والسير والتاريخ ، مِن الخاصة العامة ، ممن وُجدوا قبل عصر الشريف الرضي وقبل مولده .

قال العلامة الشيخ كمال الدين ميثم في شرحه للنهج :

" لقد وجدت هذه الخطبة في موضعين ، تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة :

أحدهما أنها مضمّنة كتاب (الإنصاف) لأبي جعفر بن قبة تلميذ أبي القاسم البلخي أحد شيوخ المعتزلة ، وكانت وفاته سنة ٣١٧ هـ قبل مولد الشريف الرضي .

الثاني وجدتها بنسخة عليها خطّ الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وكان وزير المقتدر بالله ، وذلك قبل مولد الرضي بنيّف وستين سنة ".

وذكر الشيخ موسى عز الدين في كتاب (التذكرة) المطبوع سنة ١٩٥٧ في بيروت ، أن الخطبة الشقشقيّة رواها مِن علماء الجمهور صاحب كتاب (معاني الأخبار) مسندةً مفسّرة بتفسير الحسن بن سعيد العسكري مِن أبناء القرن الثالث ، وهو مِن أعيان الجمهور ، وتاريخ وفاته عام ٢٩١ هـ قبل ولادة الشريف الرضي .

كما نقلها صاحب كتاب (الغارات) مسندة بأسانيدهم ، وتاريخ الفراغ مِن ذلك قبل ولادة الرضي .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه : وقد وجدت كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة ، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة . ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قِبَة أحد متكلمي الإمامية ، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب (الإنصاف في الإمامة) . وكان ابن قِبَة هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي (المتوفى سنة ٣١٧ هـ) ، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي موجوداً .

وبعد انتهاء ابن أبي الحديد من شرحه للخطبة الشقشقية ، أورد قول ابن عباس : فوالله ما أسفتُ على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام ، ألا يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد .

ثم قال معلقاً : أما قول ابن عباس : "ما أسفتُ على كلام ..."، فحدثني شيخي أبو الخير مصدِّق بن شبيب الواسطي في سنة ٦٠٣ هـ ، قال : قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة ، فلما انتهيت إلى هذا الموضع ، قال لي : لو سمعتُ ابن عباس يقول هذا ، لقلت له : وهل بقيَ في نفس ابن عمك أمرٌ لم يبلغه في هذه الخطبة ، لتتأسّف ألا يكون بلغ من كلامه ما أراد !. والله ما رجع عن الأولين ولا عن الآخرين ، وبقيَ في نفسه أحد لم يذكره إلا رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال مصدِّق : وكان ابن الخشاب صاحب دعابة وهزل . قال : فقلت له : أتقول إنها منحولة ؟. فقال : لا والله ، إني لأعلم أنها كلامه عليه السلام ، كما أعلم أنك مصدِّق . قال : فقلت له : إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضي . فقال : أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النَّفَس وهذا الأسلوب ؟. قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور ، وما يقع مع هذا الكلام – يعني الخطبة الشقشقيّة – في خلّ ولا خمر .

ثمّ قال : والله لقد وقفتُ على هذه الخطبة في كتب صُنّفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدها مسطورة بخطوط أعرفها ، وأعرف خطوط مَن هو مِن العلماء وأهل الأدب ، قبل أن يُخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي .

هذا وإن في وصف السيد الرضي لها ، دون غيرها مِن سائر خطب النهج (بالمعروفة بالشقشقيّة) دليلاً على شهرتها ومعروفيّتها بين الناس .

وقد ذكرها اللغويون ؛ كصاحب (النهاية) وصاحب (القاموس) وصاحب (مجمع البحرين) . ورواها العلماء والمحدثون في كتبهم . فمنهم الشيخ الثقة الصدوق ، فإنه رواها في كتابيه (علل الشرائع) بسند معتبر ، مِن رجاله البرقي وابن أبي عمير وأبان بن عثمان وأبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس ، وكتاب (معاني الأخبار) بسند آخر فيه جماعة مِن الثقات عن علي بن خزيمة عن عكرمة . وقد رواها الشيخ المفيد أستاذ الشريف الرضي في كتابه (الإرشاد) . وقد رواها جماعة مِن العلماء الآخرين ، كما في كتاب (نثر الدرّ) وكتاب (نزهة الأديب) وهما للوزير أبي سعيد الآبي ، وكتاب (الاحتجاج) ، وتذكرة ابن الجوزي وغيرها . ولم يظهر منهم التعويل في نقلها على كتاب النهج ، فلا بدّ وأن يكونوا قد نقلوها عن مصادر أخرى .

فلا يبقى إذن مجال للتشكيك في نسبة (الشقشقية) إلى أمير المؤمنين (ع) .

يقول السيد الهادي كاشف الغطاء : والذي أظنّه أن هذه الخطبة وما شابهها مما يوجد في النهج ، هي التي ألجأت جماعة مِن الناس إلى الجحد والإنكار ، لِما يترتّب على الاعتراف بها مِن أمور ، لا يمكنهم دفعها ولا يمكنهم الالتزام بها . وأما التشكيك فيها فلما اشتملت عليه مِن القدح والثلب ، وهو أمر قد جرى بين الصحابة ، بل جرى ما هو أعظم مِن ذلك .

صحة إسناد الشقشقيّة

يقول السيد هبة الدين الشهرستاني [1]:

أمـــا الخطبة الشِّقشقيَّة فلا يجوز لعال م أو منتحل للعلم أن يراها مِن الشريف الرضي ، لأن كثيراً مِن أدباء عصره أثبتوها في مدوّناهم ، وأرسلوا نسبتَها إلى علي (ع) إرسال المسلّمات ؛ كالوزير الآبي أبي سعيد منصور المتوفى سنة ٤٢٢ هـــ في كتابيه (نثر الدرر) و (نزهة الأديب) .

ولو كانت الشقشقية وليدة عصرهم لعرفوا أمرها ، وتثبّتوا في إسنادها ، شأن المعاصر مع معاصريه ، ويدلّك على أن شقشقية الوزير غير منقولة عن نهج البلاغة اختلافٌ بينهما في بعض الألفاظ والجمل .

وهـــناك مِن مشايخ الرضي الشيخ المفيد علامة بغداد ورئيس المتكلمين بها في دولة بني بويه ، وكان الشريف الرضي قد تتلمذ على هذا الشيخ مِن عهد صباه ، وألّـــف شيخه هذا كتاباً في المناقب أسماه (الإرشاد) تواترت نسبته إليه ، تجد فيه كـــثيراً مِن خطب الإمام عليه السلام ، ومن جملتها الخطبة الشقشقية ، أوردها في الصحيفة ١٣٥ قائلاً : وروى جماعة مِن أهل النقل مِن طرق مختلفة عن ابن عباس قـــال : كنت عند أمير المؤمنين (ع) بالرحبة ، فذُكرت الخلافة وتقديم مَن تقدّم عليه ، فتنفّس الصعداء ثمّ قال : أما واللهِ لقد تقمّصها ابن أبي قُحافة ... الخ .

ولا يجـــوز اقتباس الشيخ المفيد هذه الخطبة مِن نهج البلاغة ونقلها إلى كتابه ؛ لأن الرضـــي لا يمهّد للخطبة إسناداً ، بل يقولِ : ومن خطبة له (ع) وهي المعروفة

[1] ما هو نهج البلاغة ، ص ٢٣ .

بالشقشـقيّة : أما واللهِ لقد تقمّصها ... إلى آخر الخطبة ، في حين إن شيخه المفيد يمهّد لها قصةً وإسناداً .

ثمّ أثبـت السـيد الشهرستاني الشقشقية كما وردت في نهج البلاغة ، ثمّ في نسـخة الآبي ، ثمّ في كـتاب (الإرشاد) للمفيد ، ثمّ شقشقية البرقي عن (علل الشرائع) ، ثمّ شقشقية الجلودي عن كتاب (معاني الأخبار) للصدوق ، وكلهم توفوا قبل الشريف الرضي .

أسماء الناقلين للخطبة الشقشقيّة قبل الشريف الرضي

اسم المؤلف	الوفاة (هـ)	اسم الكتاب
شيخ المعتزلة أبوالقاسم البلخي	٣١٧	حسبما رواه ابن أبي الحديد في شرحه
أبو جعفر بن قِبة	٣١٩	الإنصاف في الإمامة
الوزير أبوالحسن علي بن الفرات	٣١٢	حسبما رواه ابن ميثم البحراني
أحمد بن محمد البرقي	٢٧٤	حسبما رواه الصدوق في علل الشرائع
عبد العزيز بن يحيى الجلودي	٣٣٢	حسبما رواه الصدوق في معاني الأخبار
الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري	٢٩١	المواعظ والزواجر
الشيخ المفيد محمدبن النعمان	٤١٣	كتاب الإرشاد
الوزير الآبي أبوسعيد منصور	٤٢٢	نثر الدرر / نزهة الأديب
شيخ المعتزلة أبو علي الجبّائي	٣٠٣	الفرقة الناجية لابراهيم القطيفي
ابن عبد ربه الأندلسي	٣٢٧	العقد الفريد

زيارة الأستاذ محمد دشتي :

في أوائـل عام ١٩٩٠ وأثناء حضوري المؤتمر الدولي التاسع لنهج البلاغة في

طهران ، توجهنا إلى قُم المقدسة ، وتشرفت هناك بزيارة حجة الإسلام محمد دشتي في داره ، وهـو متخصص في نهج البلاغة . وقد أطلعني على أعماله حول النهج ، وأهداني سلسلة مِن أبحاثه وهي سبعة كتب باللغة الفارسية . ومنها كتاب أدهشني بعنوان (طرق التحقيق في مصادر وأسانيد نهج البلاغة) ، وقد نظّم فيه لكل خطبة جدولاً يضع فيه الكتب التي ذكرت تلك الخطبة مِن النهج قبل أن يخلق الشريف الرضي ، واسم المؤلف وتاريخ وفاته ، رداً على الذين زعموا أن كتاب (نهج البلاغة) هو مِن تأليف الشريف الرضي كله أو بعضه ، أو حصلت فيه إضافات وانتحالات بعده . ولما فتحت الكتاب على الخطبة الثالثة وهي (الخطبة الشقشقية) وجدته قد أثبت في جدولها ٣٥ مصدراً ، تزيد كثيراً عما ذكرناه آنفاً ، نعدّ منها :

اسم المؤلف	الوفاة (هـ)	اسم الكتاب
ابن هلال الثقفي	٢٨٣	كتاب الغارات
القاضي عبد الجبار	٤١٥	المغني
الشريف المرتضى	٤٣٦	الشافي
الشريف المرتضى	٤٣٦	شرح الخطبة الشقشقية
ابن شعبة الحراني	٣٨٠	تحف العقول عن آل الرسول
الشيخ المفيد	٤١٣	الإفصاح في الإمامة
العلامة أحمد بن محمد البرقي	٢٨٠	المحاسن والآداب
ابن هلال العسكري	٣٩٥	الأوائل

وقد أعطاني المرحوم محمد دشتي رخصة بطبع كتابه المذكور ونشره ، ولقيمته الكبيرة سمّيته (قنبلة الموسم) ويقع الكتاب في ٤٨٨ صفحة .

تعليق المؤلف

يقول المؤلف :

أمـــا أنا فإن قولي الصريح أن كلَّ ما جاء في نهج البلاغة هو صحيح في نسبته لإمـــام الحـــق والبيان علي بن أبي طالب (ع) ، لا شبهة فيه ولا ريب . لا بل إنني أعتقد أن النهج هو الكتاب الملازم للقرآن ، فإذا كان القرآن هو القانون النظري للإسلام ، فإن نهج البلاغة هو الصحيفة التطبيقية للإسلام ، ولاسيما أن المطبِّق له هو ربيب القرآن ، وتلميذ النبي العدنان (ص) .

الأخ الصغير للقرآن :

ومن ألطف ما سمعت أن أستاذاً في كلية (عليكده) الهندية قال :

ومـــن بديع ما بلغنا عن المستر (كربنكو) الإنكليزي ، أستاذ الآداب العربية في الكلية المذكورة ، عندما اجتمع الأساتذة والأدباء حوله في حفلة ، وسألوه عن إعجاز القرآن ، أجابهم : " إن للقرآن أخاً صغيراً يدعى (نهج البلاغة) ، فهل في إمكان أحد أن يأتيَ بمثل هذا الأخ الصغير ، حتى يسوغ لنا البحث عن الأخ الكبير ، وإمكان أن يأتيَ أحدٌ بمثله ! ".

حقاً إن كلام النهج كلام فريد متميز ، وهو يعتبر مع القرآن والحديث النبوي أول المصـــادر في الأدب العـــربي . ولا غـــرابة إذا وجدنا علماء المسلمين وحتى المسيحيين يقرؤون نهج البلاغة ويحفظون نصوصه ويتمثلون معانيه .

وقد ورد في الأثر قول النبي (ص) : أعطيت جوامع الكلم ، وأُعطي علي (ع) جوامع العلم .

بعض اعترافات الغربيين بنهج البلاغة :

هــذا وإن اعترافات علماء الغرب بقيمة النهج أشهر مِن أن تنكر ، ونضرب مــثالاً على ذلك قول العالم الفرنسي (يان ريشار) في كتابه (الإسلام الشيعي) يقول صفحة ٣٩ :

لا شكّ أن أقوال علي (ع) ومواعظه ورسائله التي جمعت بعد ثلاثمئة عام مِن استشهاده في كتاب هو (نهج البلاغة) تشهد على خُلق عظيم .

أمــا الأسلوب – كما يراه بعض الكتاب العرب – فإنه فيما اشتمل عليه مِن نصائح كريمة ، ذات فضيلة نادرة ، يبدو كجوهرة مِن جواهر الأدب العربي .

غير أن ما يثيره هذا الكتاب مِن إعجاب لدى الشيعة والسنة على السواء ، لا يحول دون ملاحظة مسحته الفلسفية .

وهــناك مقطع شهير في الكتاب ، هو فيما يقال : رسالة وُجّهت مِن علي (ع) إلى مــالك الأشتر ، يوليه فيها على مصر . وتجعل الشيعة مِن هذا الكتاب نموذجاً لدستور إسلامي ، يشير بصورة مبكّرة إلى الديموقراطية الحديثة ".

وإذا اعترف الأجانب بقيمة النهج وما فيه مِن فكر جليل وتراث نادر ، ليس للمسلمين فحسب ، بل للإنسانية جمعاء ، فمن العجب أن لا يفكّر بعض المسلمين الأغبــياء إلا بنقد هذا الكتاب ، واختلاق المآخذ والتعليقات عليه ، مندفعين وراء التعصب الأعمى ، الذي يُري الحقّ باطلاً ، والخير شراً .

ويحسب البعض أن ما في نهج البلاغة هو كلّ ما قال الإمام علي (ع) ، مع أنه نزر يسير ، وباقة منتخبة ، مما اختاره الشريف الرضي مِن كلام إمامه ، وهو أديب عصــره الذي انبهر بفصاحته وبلاغته ، فأراد أن يقدّم للمسلمين نموذجاً حياً مِن الــبلاغة ، يســيرون على نهجه في أدبهم وكتاباتهم ، كما يسيرون على قصده في معانيه ومراميه .

وبلغ من أهمية هذا الكتاب بعد وفاة الشريف سنة ٤٠٦ هـ عن عمر لا يزيد على ٤٧ عاما ، أن الشروح التي تناولته تجاوزت ٧٠ شرحاً ؛ من أولها شرح (معارج نهج البلاغة) لأبي الحسن البيهقي ، ثمّ شرح (منهاج البراعة) لقطب الدين الراوندي ، ثمّ شرح ابن أبي الحديد المعتزلي ، ثمّ شرح ابن ميثم البحراني ... الخ .

بيت القصيد :

وقد تبيّن لك أخي القارئ أن كلّ مَن افتعلوا تلك الضجة حول التشكيك بالنهج ، كان هدفهم الأساسي التشكيك بصحة نسبة (الخطبة الشقشقيّة) إلى الإمام علي (ع) ، ليرضوا عصبيتهم في تقديس الأشخاص دون المبادئ ، ضاربين عرض الحائط بأول مبدأ إسلامي ، وهو أن الحق هو المبدأ في تقييم الأشخاص ، وأن الحق كما نصّ القرآن أحقّ أن يتّبع ، وأنه هو أقدس الأقداس ، وبه تقاس الرجال والأشخاص ، وليس العكس .

وقد رأيتَ أيها القارئ أن مَن ادّعى اختلاق الخطبة الشقشقية من قبل الشريف أو غيره ، فإن دعواه داحضة منهارة بالبراهين والأدلة الدامغة ، فهذه الخطبة وردت في العديد من الكتب قبل ولادة الشريف ، وصحتها أقوى بكثير من دعوى التوهين والاختلاق .

أضف إلى ذلك أن الشريف الرضي كان من أشرف الناس حسبا ونسباً ، ويستحيل على المنصف أن يصدّق باختلاق الرضي أي كلمة على وليّه وإمامه .

ولبيان مدى نزاهة ووثاقة الشريف الرضي ، نورد نبذة من حياته وسيرته .

قبسات مِن حياة الشريف الرضي

مقدمة حول الأوضاع العامة في القرن الرابع الهجري :

كانـــت الفترة التي سبقت الغيبة الكبرى للإمام المهدي (ع) فترة حرجة للشيعة ، وكان أبرز علمائهم في تلك الحقبة العلامة الكُلَيني ، ثمّ تلميذه الشيخ الصدوق .

وفي ســـنة ٣٢٩ هــ حدثت أحداث هامة ، وهي سنة تناثر النجوم في السماء ، فقــد صــادف في تلك السنة أن توفي آخر سفير للإمام الحجة (ع) وهو علي بن محمد السَّمري ، فانقطعت الغيبة الصغرى وبدأت الغيبة الكبرى للإمام المهدي (ع) . كمـــا توفي في تلك السنة العلامة الكليني ، الذي كان رئيس فقهاء الشيعة في أيام المقتدر العباسي في بغداد ، فسمي (ثقة الإسلام) .

ثمّ تسنَّم كرسي الصدارة في الحديث تلميذه الشيخ الصدوق ، ولقّب (حجة الإسلام) ، وكان مرجع الشيعة في ذلك الوقت حتى توفي سنة ٣٨١ هــ .

وكـــان مِن أبرز تلامذة الشيخ الصدوق ، الشيخ المفيد ، الذي عاصر الدولة البويهية .

وكـــان الخلفاء العباسيون في بغداد قد خصّصوا كرسياً رمزياً لأعظم فقيه في المســـلمين سمّي (كرسي وحيد العصر) . وقد تقلّد الشيخ المفيد هذا المنصب ما يقرب من ثلاثين سنة ، منذ وفاة الشيخ الصدوق سنة ٣٨١ هــ وحتى وفاته سنة ٤١٣ هــ .

وعلى يد هذا العالم الجهبذ والفقيه النحرير تتلمذ الشريفان الرضي والمرتضى ، وإليك قصة ذلك .

رؤيا الشيخ المفيد :

روي عن فخار بن معدّ العلوي الحسني ، أن الشيخ المفيد رأى في منامه مولاتنا فاطمة الزهراء (ع) تدخل إليه وهو في مسجده بالكرخ ، ومعها ولداها الصغيران الحسن والحسين (ع) . فسلّمتهما له وقالت : أرجو أن تعلمهما الفقه . فانتبه الشيخ مِن منامه متعجباً مِن ذلك !.

فلما تعالى النهارُ في صبيحة تلك الليلة ، ذهب إلى مسجده ، وبينما هو جالس إذْ دخلت عليه سيدة جليلة ، هي فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها ، ومعها ولدان صغيران هما ابناها : علي المرتضى ومحمد الرضي . فقام إليها وسلّم عليها . فقالت : أيها الشيخ هذان ولداي قد أَحضرْتُهما إليك لتعلمهما الفقه . فبكى الشيخ المفيد مِن هول المنظر . فقالت : ما بك ؟. فقصّ عليها ما رآه في المنام تلك الليلة . وبدأ بتعليمهما وتهذيبهما ، وفتح اللهُ لهما أبواب العلوم والفضائل ، حتى أصبح يضرب بهما المثل .

وهكذا تربى الشريفان على العلم والتقوى ، وكانا حجّة في الفقه والأدب . وبلغ مِن علوّ قدرهما وشرف منزلتهما ، وهما المنتسبان إلى الرسول (ص) ، أن تسنّم الشريف المرتضى وهو الأكبر كرسي وحيد العصر ، في حين استلم الشريف الرضي نقابة الطالبيين ومناصب أخرى بعد وفاة أبيه الطاهر ذي المناقب .

الكذب على الإمام يُخرج المرء من الإسلام :

وفي حين كثرت على النبي (ص) الكذّابة مِن المسلمين كما تنبّأ ، فقد تمسّك الأئمة الأطهار مِن آله بالصدق ، حتى كُنّي زعيم منهبهم جعفر بن محمد ، بالصادق (ع) . وبلغ مِن اهتمام مذهبهم بالصدق أنه يعتبر الذي يكذب على الله أو النبي أو الإمام خارجاً عن الدين ، وفي فقههم أنه إذا كان صائماً وكذب عليهم فإنه يفطر ، فمِن المفطّرات في المذهب الجعفري تعمّد الكذب على الله أو الرسول أو الإمام .

وهكــذا نجد أن مَن التزم بمذهبهم فإنه لا يكذب أبداً . هذا إذا كان من عامة الناس ، فكيف به إذا كان عالماً ، أو كان بمنزلة الشريف الرضي والمرتضى ، وهما من أشرف العلماء في عصرهما ؟!.

وإليك هذه القصة التي تبيّن منزلة الشريف الرضي في عالَم الفضائل والتقوى ، فلقد شارف درجة النزاهة الكاملة ، إن لم نقل العصمة غير الواجبة .

قصة كتاب :

يـــروى أنه لما توفي والد الشريفين الرضي والمرتضى ، اقتسما مكتبته ، وبقي كـــتاب ثمين اختصما في أمره ، كلٌّ يريده لحاجته . فحكّما أستاذهما الشيخ المفيد عليه الرحمة . فقال : الكتاب لمَن لم تَفُتْهُ صلاةٌ . فقالا : كلانا لم تفته صلاة . فقال الشـــيخ : هو لمن لم يفعل مكروهاً . قال الرضي : أنا لم أفعل محرَّماً ولا مكروهاً في حياتي . فقال المرتضى : صدقت يا أخي . وناوله الكتاب .

وكان الشريف الرضي على درجة عالية مِن الإباء والشمم والتحلّي بالأخلاق الفاضلة ، وقصته مع الخليفة القادر تدلّ على ذلك .

قصة الشريف مع القادر :

مـــن القصــــص التي تدل على إباء الرضي ومناصرته الشديدة للحق ، هذه الأبـــيات الـــتي يتوجّد فيها مِن إقامته في بغداد ، ويتمنى لو يهاجر إلى مصر حيث الحكم الفاطمي العلوي ، يقول فيها :

ما مُقامي على الهوان وعندي   مِقوَلٌ صارم وأنفٌ حَمِيُّ
وإباءٌ مُحلِّق بي عن الضيم   كما زاغ طائـــر وحشيّ
أيّ عذرٍ لهُ إلى المجد إنْ   ذلّ غلامٌ في غمده المشرفيّ
أحملُ الضيم في بلاد الأعادي   وبمصرَ الخليفـــة العلويّ

مَن أبوه أبي ، ومولاه مولايَ إذا ضامني البعيدُ القصي

لفَ عِرقي بعِرقه سيّدُ الناس جميعاً : مُحَمَّدٌ و علىُّ

فيقال : إن الخليفة القادر بعث خلف النقيب أبي أحمد والد الشريف الرضي ، وأبرز إليه هذه الأبيات في محضر جماعة مِن القضاة والشهود والفقهاء وفيهم الشريف المرتضى ، وقال له : قلْ لولدك محمد الرضي : أيُّ هوانٍ قد أقام عليه عندنا ؟ وأي ضيم لقي في جهتنا ؟ وأي ذلّ أصابه في مملكتنا ؟. أولم نُوَلِّه النقابة ؟. ألم نولّه المظالم ؟. ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز ، وجعلناه أمير الحجيج ؟!. فهل كان يحصل له مِن صاحب مصر أكثر مِن هذا ؟!.

يقول الأستاذ زكي المبارك في كتابه (عبقرية الرضي) : " لو كان الشريف الرضي عند الفرنسيس ، لجعلوا له في كلّ ميدان تمثالاً ".

خاتمة :

(أقول) : ومَن كانت هذه صفاته ومنازعه فيستحيل عليه أن يكذب على جدّه وإمامه علي (ع) . فيا ويل مَن سوّلت له نفسه الكذب على الشريف الرضي ، ووصمه بالتزوير والتلفيق وهو منهما براء .

وهكذا فقد ظهر الحق لكل منصف أمين ، وأضاء الصبح لكل ذي عينين ، أن الشريف الرضي أرفع بكثير مما وصمه به المفترون ، وأن نهج البلاغة أصدق كتاب بعد القرآن والحديث النبوي الصحيح . إنه الصورة المطابقة للحديث والقرآن ، والمنهج الحق لكل إنسان ، منزّه عن الريب والبهتان ، ولو كره المفترون .

الدكتور لبيب بيضون

شروح نهج البلاغة

للعارف بالله الشيخ مَيثم بن علي بن ميثم البحراني

المتوفى سنة ٦٨٩ هـ

﴿ مشاركة في الندوة العالمية الثانية لتكريم الشيخ ميثم البحراني ﴾

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ما هو نهج البلاغة ؟

نهج البلاغة كتاب نفيس اشتهر في مملكة الأدب العربي اشتهارَ الشمس في رأد الضحى ، حتى اعتبر مِن الأصول الثلاثة في آداب اللغة العربية ، وهي القرآن والحديث النبوي ونهج البلاغة ، ولا عجب فإن ما في نهج البلاغة هو كلام أمير المؤمنين علي (ع) ، وهو ربيب النبي (ص) والقرآن .

وقد ضمَّ هذا الكتاب بين دفتيه ٢٤٢ خطبة و ٧٨ كتاباً و ٥٠٠ حكمة ؛ مِن يواقيت الحكم وجوامع الكلم ، لإمام الكلّ في الكل ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، التي جمعها الشريف الرضي ، رائد الفصاحة في عصره .

يقول محمد محي الدين عبد الحميد محقّق شرح النهج [1]:

" (نهج البلاغة) هو ما اختاره الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي مِن كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو الكتاب الذي ضمَّ بين دفتيه عيون البلاغة وفنونها ، وتهيأت به للناظر فيه أسباب الفصاحة ، ودنا منه قطافها ، إذ كان مِن كلام أفصح الخلق – بعد الرسول (ص) – منطقاً ، وأشدّهم اقتداراً ، وأبرعهم حجّة ، وأملكهم للغة ، يديرها كيف شاء . الحكيمُ الذي تصدر الحكمة عن بيانه ، والخطيب الذي يملأ القلبَ سحرُ لسانه ، والعالم الذي هيأ له مِن خلاط الرسول وكتابة الوحي ، والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حداثته ، ما لم يتهيأ لأحد سواه ".

---

[1] مِن مقدمته لشرح الشيخ محمد عبده على (نهج البلاغة) .

ولـيس الشـريف الرضي أول مَن اهتمّ بكلام الإمام علي (ع) ، فقد دأب الفصـحاء والـبلغاء على حفظ كلام الإمام علي (ع) مِن قبل أن يولد الشريف الرضـي ؛ فـتراهم ما بين جامع لكلمه ، وراوٍ لخطبه ، وحافظ لأقواله ، ومتأثر بأسلوبه ، وناظم لحكمه .

فهـذا عبد الحميد بن يحيى الكاتب يقول : " حفظتُ سبعين خطبة مِن خُطب الأصلع ، ففاضت ثمّ فاضت ". يعني بالأصلع سيدنا علياً (ع) .

وقال الأصبغ بن نباته : حفظتُ مِن الخطب كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة ، حفظتُ مائة فصل مِن مواعظ علي بن أبي طالب (ع) .

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي :

" إن سطراً واحداً مِن (نهج البلاغة) يساوي ألف سطر مِن كلام الأصبغ بن نباتة ، وهو الخطيب الفاضل الذي اتفق الناس على أنه أوحد عصره في فنّه ".

وكـم زيّن أبوعثمان الجاحظ كتبه مثل (البيان والتبيين) بفصول مِن خطب أمير المؤمنين (ع) إعجاباً بها ، وإعداداً للنفوس لبلوغ أقصى البلاغة .

وقـد جمـع الجاحظ مائة كلمة للإمام علي (ع) وأغلبها أورده الشريف في الـنهج . وكان الجاحظ يقول : " إن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مائة كلمة ، كـلّ كـلمة منها تفي بألف كلمة مِن محاسن كلام العرب ". وقد صدّرها بقول الإمام (ع) : (قيمة كلّ امرئ ما يحسنه) .

يقول الجاحظ في (البيان والتبيين) ج١ ص ٤٧ :

يقـول الإمـام علي (ع) في نهج البلاغة : (قيمة كلّ امرئ ما يحسنه) . فلو لم نقـف مِن هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة ، لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية ، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية ، وغير مقصّرة عن الغاية .

وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه . وكان الله عــزّ وجــل قد ألبسه مِن الجلالة ، وغشّاه مِن نور الحكمة ، على حسب نيّة صــاحبه وتقوى قائله . فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً مِن الاستكراه ، ومنزّهاً عن الاختلال ، مصوناً عن التكلّف ؛ صنع في القلب صــنيع الغيــث في الــتربة الكريمة . ومتى فَصَلت الكلمةُ على هذه الشريطة ، ونفــذت مِن قائلها على هذه الصفة ، أصحبها اللهُ مِن التوفيق ، ومنحها مِن التأييد ، مــا لا يمتنع مِن تعظيمها به صدورُ الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة . وقد قال عامر بن عبد القيس : " الكلمة إذا خرجت مِن القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت مِن اللسان لم تجاوز الآذان ".

وقــد أُثر عن الجاحظ قوله : ما قرع سمعي كلامٌ بعد كلام الله ، وكلام رسوله ، إلا عارضــته ؛ إلا كلمات لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فما قــدرت عــلى معارضتها ، وهي مثل قوله : " أحسن إلى مَن شئت تكن أميره ، واستغنِ عمّن شئتَ تكن نظيره ، واحتج إلى مَن شئت تكن أسيره ".

حملة التشكيك مستمرة :

وقــد حاول الكثيرون مِن القدماء والمحدثين التشكيك في صحة نهج البلاغة ، مدّعين أن الشريف الرضي انتحله مِن عنده ، كله أو بعضه ، وهذه الدعوى واهنة واهية ، لا بل هي أوهن مِن بيت العنكبوت ، إذا عرفنا مكانة الشريف الرضي في عصــره ، وإبــاءه وأنفــته ، وعفته وورعه ، بعيداً عما ادعى المرجفون وافترى الكائدون .

منزلة الشريف الرضي :

الشــريف الرضي هو محمد بن الحسين ذي الحسبين ، الذي ينتهي نسبه إلى

الإمـــام موسى الكاظم (ع) ، وأمه فاطمة بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الكبير ملك بلاد الديلم ، وينتهي نسبه إلى الإمام زين العابدين (ع) . توفي الرضي سنة ٤٠٦ هـــ وهو في ريعان شبابه عن عمر لا يزيد على ٤٧ عاماً .

مقدمة حول الأوضاع العامة في القرن الرابع الهجري :

كانـــت الفترة التي سبقت الغيبة الكبرى للإمام المهدي (ع) فترة حرجة للشيعة ، وكان أبرز علمائهم في تلك الحقبة العلامة الكُلَيني ، ثمّ تلميذه الشيخ الصدوق .

وفي ســنة ٣٢٩ هـــ حدثت أحداث هامة ، وهي سنة تناثر النجوم في السماء ، فقـــد صـــادف في تلك السنة أن توفي آخر سفير للإمام الحجة (ع) وهو علي بن محمد السَّمري ، فانقطعت الغيبة الصغرى وبدأت الغيبة الكبرى للإمام المهدي (ع) . كمـــا توفي في تلك السنة العلامة الكليني ، الذي كان رئيس فقهاء الشيعة في أيام المقتدر العباسي في بغداد ، فسمي (ثقة الإسلام) .

ثمّ تسنَّم كرسي الصدارة في الحديث تلميذه الشيخ الصدوق ، ولقّب (حجة الإسلام) ، وكان مرجع الشيعة في ذلك الوقت حتى توفي سنة ٣٨١ هـــ .

وكـــان مِن أبرز تلامذة الشيخ الصدوق ، الشيخ المفيد ، الذي عاصر الدولة البويهية .

وكـــان الخلفاء العباسيون في بغداد قد خصّصوا كرسياً رمزياً لأعظم فقيه في المســـلمين سمّي (كرسي وحيد العصر) . وقد تقلّد الشيخ المفيد هذا المنصب ما يقرب مِن ثلاثين سنة ، منذ وفاة الشيخ الصدوق سنة ٣٨١ هـــ وحتى وفاته سنة ٤١٣ هـــ .

وعلى يد هذا العالم الجهبذ والفقيه النحرير تتلمذ الشريفان الرضي والمرتضى ، فتربّـــيا على العلم والتقوى ، وكانا حجّة في الفقه والأدب . وبلغ مِن علوّ قدرهما

وشـــرف منزلتهما ، وهما المنتسبان إلى الرسول (ص) ، أن تسنّم الشريف المرتضى وهو الأكبر كرسي وحيد العصر ، في حين استلم الشريف الرضي نقابة الطالبين ومناصب أخرى بعد وفاة أبيه الطاهر ذي المناقب .

(أقول) : ومَن كانت هذه صفاته ومنازعه فيستحيل عليه أن يكذب على جدّه وإمامه علي (ع) . فيا ويل مَن سوّلت له نفسه الكذب على الشريف الرضي ، ووصمه بالتزوير والتلفيق وهو منهما براء .

وهكذا فقد ظهر الحق لكل منصف أمين ، وأضاء الصبح لكل ذي عينين ، أن الشريف الرضي أرفع بكثير مما وصمه به المفترون ، وأن نهج البلاغة أصدق كتاب بعـــد القرآن والحديث النبوي الصحيح . إنه الصورة المطابقة للحديث والقرآن ، والمنهج الحق لكل إنسان ، منزّه عن الريب والبهتان ، ولو كره المفترون .

شروح النهج :

وكم ألّف العلماء قبل نهج البلاغة آلاف الكتب ، التي ضاعت أو اندثرت ، إلا أن هـــذا الكـــتاب المبارك كتب الله له الحفظ والبقاء ، حتى تنعم الأمم بخيراته على مدى العصور والدهور ، فكان كالشجرة الطيبة التي ﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتِيَ أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربّها ﴾ .

ولأهمية هذا الكتاب فقد بلغت شروح العلماء عليه أكثر مِن أربعين شرحاً .

وقد عدّد المرحوم السيد جواد مصطفوي خراساني في كتابه (الكاشف) أهم تلك الشروح وهي ١٢ شرحاً باللغة العربية والفارسية ، هي :

شرح ابن ميثم البحراني – فتح الله الكاشاني – فيض الإسلام – نوّاب – ملا صــالح – الــدرة النجفية – ابن أبي الحديد – محي الدين الخياط – محمد عبده – المرصفي – حبيب الله الخوئي – في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية .

الشيخ ميثم البحراني

جاء في الكنى والألقاب [1]:

كمـــال الدين مَيْثَم بن علي بن ميثم البحراني ، العالم الرباني ، والفيلسوف المتــبحّر المحقق ، والحكيم المتأله المدقّق ، جامع المعقول والمنقول ، أستاذ الفضلاء الفحول ، صاحب الشروح على نهج البلاغة .

يـــروي عـــن المحقق نصير الدين الطوسي ، والشيخ كمال الدين علي بن سليمان البحراني .

ويروي عنه العلامة الحلي ، والسيد عبد الكريم أحمد بن طاووس .

قـــيل : إن الخواجة نصير الدين الطوسي تتلمذ على كمال الدين ميثم في الفقه ، وتتلمذ كمال الدين على الخواجة في الحكمة .

ولـــد في البحرين سنة ٦٣٦ ، وتوفي فيها سنة ٦٧٩ هـ (والأصح ٦٨٩ كمـــا حقّـــق الشيخ هادي الأميني في مقدمة مصباح السالكين) ، ودفن في مقبرة جده المعلّى في قرية (هلتا) من قرى ماحوز .

وحكي عن بعض العلماء أن (ميثم) حيثما وجد فهو بكسر الميم ، إلا مَيثم البحراني فإنه بفتح الميم . وكتب الشيخ سليمان البحراني رسالة في أحوال الشيخ ميثم سماها (السلافة البهيّة) .

أوضاع العصر الذي عاش فيه ابن ميثم :

جاء في مقدمة (شرح نهج البلاغة) لابن ميثم البحراني ، الصفحة (يب) :

---

[1] الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ، ج١ ص ٤٣٣ .

ما يبعث الألم في القرن السابع مِن الحوادث ...

تضمن القرن السابع مِن الحوادث والمصائب ما يستعظمه السامع ولا يهون ذكـــره . وهذه المصائب وإن عمّت ، إلا أنه بُلي المسلمون منها ما لم يُبْتَلَ أحد مِن الأمم .

أما في الشرق فعَيثُ التتار . أقبلوا مِن الشرق واجتاحوا آسيا مِن شرقها إلى مغاربهـــا ، ووقع الناس بأيدي أعداء لا يرضون إلا بالقتل والسبي ، وكان الملوك الذين يسوسوهم ضعفاء لا يمكنهم الذبّ والدفع . فأصبحت البلاد سائبة لا مانع عنها ، فجاسوا خلال الديار ، وأخذوا في إبادتها ، وفعلوا مِن النهب والفساد ما لم يطرق الأسماع مثله ...

دعِ الشرق وولِّ وجهك نحو الغرب ، تراه في مثل ما فيه الشرق أو أشد .

مـــات صـــلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩ هـــ ، ووزّع ملكه بين أبنائه الثلاثة وأخيه الملك العادل . ومات الملك العادل سنة ٦١٥ وورث ملكه أبناؤه الخمسة ، وكانت البغضاء بينهم في غاية الشدة ، والفتنة قائمة على قدم وساق ...

فما ظنّك بمن يعيش في عصر يرى مثوى العباد مسعى الفساد ، وأعزة أهلها أذلّة ، ضحايا نبال الظلم وسبايا يده ؟.

وقـــد نقل عنه أنه كتب إليه جماعةٌ مِن علماء (الحلة) وهو في البحرين ، أنه لا يحســـن بك الانزواء والاعتزال ، مع مهارتك في تحقيق مطالب العلوم . ودعَوه إلى الحلـــة مهـــد العـــلم ، وأحد مراكزه في ذاك اليوم . فاعتذر أولاً ، ثمّ كرروا الدعوة فأجاب . وإليك قصة ذلك .

لولا كُمّي ما أكل تمّي :

كـــان ابـــن ميثم البحراني في بداية أمره معتزلاً عن الناس في بلده البحرين ،

منصــرفاً إلى التألــيف والتحقيق . فكتب إليه فضلاء (الحلّة) في العراق رسالةَ عِتاب ، يلومونه على انقطاعه عنهم ، ويدعونه إليهم . فكتب في جوابه إليهم :

طلبتُ فنون العلم أبغي بها العلا   فقصّرني عما سموتُ به القُــلُّ
تبــيّن لي أن المحاســن كلَّها   فروع ، وأن المال فيها هو الأصل

فــلما وصــلت إليهم هذه الأبيات ، كتبوا إليه : إنك أخطأت في التقدير ، فليست الأصالة للمال ، بل للعلم والكمال . فكتب إليهم :

قد قال قوم بغير علم   ما المرء إلا بأكبريه
فقلت قولَ امرئ حكيم   ما المرء إلا بدرهميه
مَن لم يكن درهمٌ لديه   لم تلتفت عِرسُه إليه

ثمّ فكر بعمل زيارة للعراق لزيارة الأئمة (ع) وإقامة الحجة على مَن كاتبوه .

ثمّ إنــه لما وصل إلى هناك ، لبس ثياباً خشنة قديمة ، وتزيّى بهيئة رثّة رديئة ، ودخــل بعض مدارس الحلة المليئة بالعلماء والفضلاء ، فسلّم عليهم فردّ بعضهم عليه السلام . فجلس في صفّ النعال قرب الباب ، فلم يلتفت إليه أحد منهم .

وفي أثــناء المباحــثة صادفتهم مسألة مُشكلة دقيقة ، ضعفتْ عن إدراكها أفهــامُهم ، وعجزت عن فهمها عقولهم ، فأجاب ابن ميثم عنها بتسعة أجوبة في غاية الجودة والدقة . فقال له بعضهم بطريق السخرية والتهكّم : أظنّك طالب عــلم ؟!. ثمّ بعــد ذلك أُحضر الطعام فلم يؤاكلوه ، بل أفردوه بشيء قليل على حــدة ، واجتمعوا هم على المائدة . فلما انقضى ذلك المجلس قام وانصرف إلى داره .

وفي اليوم التالي عاد إليهم ، وقد لبس ملابس فاخرة بهيّة ، بأكمام واسعة ، وعمامة كبيرة ، وهيئة رائعة . فلما اقترب منهم وسلّم عليهم ، قاموا له تعظيماً ، واستقبلوه تكريماً ، وبالغوا في ملاطفته ومؤانسته ، واجتهدوا في تكريمه وتوقيره ، وأجلسوه في صدر ذلك المجلس .

ولما شرعوا في المباحثة والمذاكرة ، تكلّم معهم بكلمات سقيمة لا وجه لها شرعاً ولا عقلاً ، فقابلوه بالتحسين والتسليم ، على وجه التقريظ والتعظيم . فلما حضرت مائدة الطعام بادروا معه بالأدب والاحترام . فبينما هو يأكل ألقى كُمَّهُ في ذلك الطعام ، وقال : كُلْ يا كُمّي !. فلما شاهدوا تلك الحالة العجيبة ، أصابتهم الدهشة والاستغراب ، واستفسروه عن معنى ذلك الخطاب ، فأجابهم ابن ميثم ، بأنكم إنما قدّمتم هذه الأطعمة الظريفة لأجل أكمامي الواسعة ، لا لنفسي القدسية اللامعة ، فأنا صاحبكم الذي جاء بالأمس ولم يلقَ منكم تكريماً . مع أنني جئتكم البارحة بهيئة الفقراء وسجيّة العلماء ، واليوم جئتكم بلباس المترفين ، وتكلمت إليكم بكلام الجاهلين ، فقد رجّحتم الجهالة على العلم ، والغنى على الفقر . وأنا صاحب الأبيات التي تقول بأصالة المال وفرعية الكمال ، التي أرسلتُها إليكم وعرضتها عليكم ، فقابلتموها بالنقد والنقض .

فاعترف الجماعة بالخطأ ، واعتذروا عما صدر منهم [1].

شروح الشيخ ميثم البحراني على النهج :

لا ريب في أن للشيخ ميثم البحراني ثلاثة شروح لنهج البلاغة ، غير شرحه المائة كلمة . كما نصّ عليها أكثر الفقهاء والمؤرخين ، منهم الحرّ العاملي ، الذي

---

[1] منهاج العارفين ، شرح ابن ميثم البحراني على المائة كلمة للإمام علي (ع) التي جمعها الجاحظ ، ص ٥ .

قال في ترجمته : كان من العلماء الفضلاء المدققين ، متكلماً ماهرا ، له كتب منها كتاب (شرح نهج البلاغة) وهو الكبير ، وآخر متوسط ، وآخر صغير .

أما الكبير فقد طبع باسم (شرح نهج البلاغة) في خمس مجلدات . والوسيط ، فهو منتخب من شرحه الكبير ، وأسماه (اختيار مصباح السالكين) . وأما الثالث الصغير فلم يطبع بعد .

منهاج العارفين :

وللشيخ ميثم البحراني كتاب جليل ، هو شرح المائة كلمة للإمام علي (ع) التي جمعها الجاحظ ، وهو بعنوان (منهاج العارفين) .

يقول السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب في كتابه (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) ج١ ص ٢٢٥ ط٣ :

ولا يفوتني ههنا أن أتعرض لوصف شرح الشيخ ميثم رحمه الله المسمى (منهاج العارفين) الذي شرح فيه (المائة المختارة) التي جمعها الجاحظ من كلام أمير المؤمنين (ع) . وهذا الكتاب الجليل مرتب على ثلاثة أقسام :

(القسم الأول) : في المبادئ والمقدمات ، ويشتمل على ثلاثة فصول ، يندرج تحتها عدة مباحث ؛ في النفس الحيوانية وتحقيقها ، وبرهان وجودها ، وماهية الإدراك والحواس الباطنة والظاهرة ، والقوى المحركة بالإرادة ، والأرواح الحاملة لهذه القوى ، والنفس الإنسانية والفلكية وماهيتهما ، والبرهان على وجودهما ، والكلام في الكمالات العقلية الإنسانية ، وتفصيل لأصول الفضائل الخلقية . ثمّ الكلام على أحوال النفس بعد المفارقة ، والبرهان على بقائها ، ومعنى السعادة والشقاوة ، وإثبات اللذة العقلية للنفوس الإنسانية ، والإشارة إلى أحوال السالكين ، ومعنى الزاهد والعابد والعارف ، وكيفية التمكن من الإخبار عن المغيبات ، والإتيان بخوارق العادات .

(القسم الثاني) : في المقاصد ، وفيه فصول ثلاثة :

(الأول) : في المباحث المتعلقة بالعقل ، والجهل والعلم ، والظن والنظر .

(والثاني) : في المباحث المتعلقة في الأخلاق الرضيّة والرديّة .

(والثالث) : في المباحث المتعلقة بالآداب والحكم المصلحية .

أما (القسم الثالث) فيشتمل على فصلين :

(الأول) : في بيان أن علياً (ع) كان مستجمعاً لجميع الفضائل .

(الثاني) : في بيان اطلاعه (ع) على المغيَّبات ، وتمكّنه مِن خوارق العادات .

والكتاب قيّم بكل معنى الكلمة ، وكل بحوثه مبنيّة على أسس علمية ، وقواعد فلسفية ، وأصول حكمية ، وذلك ما دعاني لاستعراض محتوياته .

شرح ابن ميثم للنهج يدلّ على مقدرته العلمية :

يبدأ ابن ميثم شرحه الكبير لنهج البلاغة بمقدمة نفيسة في علم الكتابة والتعبير وعلم الخطابة ، التي هي مِن أسس نهج البلاغة . ثمّ يتكلم في فضائل الإمام علي (ع) النفسانية ؛ سواء منها ما ينتسب إلى القوة النظرية ، أو إلى القوة العملية .

فأما القوة النظرية ، فتظهر في الدرجة العلمية السبّاقة للإمام (ع) ؛ إذ كان سيّد العارفين بعد سيد المرسلين (ص) ، ينبئك عنها قوله (ع) : " لو كُشف لي الغطاء ، ما ازددتُ يقيناً ".

وأما القوة العملية ، فتتجلى في استكمال النفس بملكة العدالة ، التي تصدر عنها الأفعال الفاضلة .

ثمّ يشرح منطلقات الفضائل الخلقية ، وهي ثلاثة ، ونعبّر عنها في علم النفس ؛ بالنفس العاقلة ، والنفس الشهوية ، والنفس الغضبية .

فإذا روّض الإنسان هذه القوى وجعلها تسير نحو الخير ، تجلت القوة العاقلة فيه بصورة (الحكمة) ، والقوة الشهوية بصورة (العفة) ، والقوة الغضبية بصورة (الشجاعة) . ويطلب في كلّ هذه القوى التوسط في الأمور ، فلا إفراط ولا تفريط .

وقد كان الإمام علي (ع) يمثل بالنسبة إلى هذه القوى الإنسان الكامل ، الذي بلغ أوج الفضائل .

وتمتد الحكمة العملية من سياسة الإنسان ، إلى سياسة الدولة وسياسة المجتمع ، مما تطفح به صفحات نهج البلاغة ، في كلامه (ع) وخطبه وكتبه وحكمه ، وخاصة في عهده لمالك الأشتر حين بعثه لولاية مصر .

إخبار الإمام علي (ع) بالمغيّبات :

وبما أن المتشككين أوردوا اعتراضات مختلفة على النهج ، مِن أبرزها ما ورد على لسان الإمام (ع) مِن إخباره ببعض المغيبات ، فإن الشيخ ابن ميثم اهتمّ في الردّ على هذه الدعاوى المغرضة والاختلاقات الكاذبة . فالإمام (ع) ردّ في إحدى خطبه على مَن قال له : أنت تعلم الغيب يا أمير المؤمنين ؟. فقال : إنه ليس علم الغيب ، وإنما هو علم مِن ذي علم ، يقصد به النبي (ص) .

لكن ابن ميثم يذهب إلى أبعد مِن ذلك ، ليثبت للإمام علي (ع) العلم بالإيحاء الإلهي ، بعد أن تمّ له الاستعداد لتقبّل تلك الإفاضات الربانية .

يقول ابن ميثم في شرحه للنهج ، ج١ ص ٨٣ ط٢ شارحاً ذلك :

وأما (المقام الثالث) ، وهو صدور الإخبار بالأمور الغيبية عنه ... لايقال : لا نسلّم أن ذلك علمٌ ألهمه الله إياه وأفاضه عليه ، بل الرسول (ص) أخبره بوقائع جزئية مِن ذلك ، وحينئذ لا يبقى بينه وبين غيره فرق في هذا المعنى ، فإن الواحد

منا لو أخبره الرسول (ص) بشيء من ذلك لكان له أن يحكي ما قال الرسول ، وأن وقـع المخبَر به على وفق قوله . ويدلّ على ذلك قوله بعد وصف الأتراك ، وقـد قال له بعض أصحابه في ذلك المقام : لقد أُعطيتَ يا أمير المؤمنين علم الغيب ؟ فضحك وقال للرجل وكان كلبياً : يا أخا كلب ، ليس هذا بعلم غيب ، وإنما هو تعلّـم من ذي علم ، وإنما علم الغيب : علم الساعة ، وما عدّده الله سبحانه من قوله ﴿ إنّ الله عنده علم الساعة ، ويُنَزّل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ﴾ من ذكر وأنثى ، وقبيح وجميل ، وشقيّ وسعيد ، ومَن يكون للنار حطباً ، أو في الجنان للنبيّين مرافقاً ، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله ، وما سوى ذلك فعلم علّـم اللهُ نبيّه (ص) فعلّمنيه ، ودعا لي بأن يَعِيَه صدري ، وتضطمّ عليه جوانحي . وهـذا تصـريح بأنه تَعَلَّمَ من رسول الله (ص) ، لأنا نقول : إنا لم ندَّعِ أنه (ع) يعلم الغيب ، بل المدَّعى أنه كان لنفسه القدسية استعداد أن تنتقش بالأمور الغيبية ، عن إفاضـة جود الله تعالى ، وفرقٌ بين الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وبين ما ادّعيناه ، فـإن المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفاداً عن سبب يفيده ، وذلك إنما يصدق في حقّ الله تعالى ، إذ كلّ علم لذي علم عداه فهو مستفاد من جوده ؛ إمـا بواسـطة أو بغير واسطة ، فلا يكون علم غيب ، وإن كان اطّلاعاً على أمر غـيبي لا يتأهّل للاطلاع عليه كلّ الناس ، بل يختصّ بنفوس خُصّت بعناية إلهية ، كما قال تعالى : ﴿ عالمُ الغيب فلا يُظهرُ على غيبِه أحداً ، إلا مَن ارتضى من رسول ﴾ " الجن ٢٦ ". فإذا عرفت ذلك ظهر أن كلامه (ع) صادق مطابق لما أردناه ، فإنه نفـى أن يكون ما قاله علم غيب لأنه مستفاد من جود الله تعالى ، وقوله : " وإنما هو تعلّـم من ذي علم " إشارة إلى وساطة تعليم الرسول له ، وهو إعداد نفسه على طول الصـحبة بتعلـيمه ، وإشارة إلى كيفية السلوك وأسباب التطويع والرياضة ، حتى

استعدّ للانتقاش بالأمور الغيبية والإخبار عنها ، وليس التعليم هو إيجاد العلم ، وإن كان أمراً قد يلزمه إيجاد العلم . فتبيّن إذن أن تعليم رسول الله (ص) له لم يكن مجرّد توقيفه على الصور الجزئية ، بل إعداد نفسه بالقوانين الكلية . ولو كانت الأمور التي تلقّاها عن الرسول (ص) صوراً جزئية لم يحتج إلى مثل دعائه في فهمه لها ، فإن فهم الصور الجزئية أمر ممكن سهل في حقّ مَن له أدنى فهم ، وإن ما يحتاج إلى الدعاء وإعداد الأذهان له بأنواع الإعدادات ، هو الأمور الكلية العامة للجزئيات ، وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها ، وأسباب تلك الأمور المعدّة لإدراكها . ومما يؤيّد ذلك قوله (ع) : علّمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم ، فانفتح لي من كلّ باب ألفُ باب ، وقول الرسول (ص) : أُعطيتُ جوامعَ الكلم ، وأُعطي عليٌّ جوامع العلم . والمراد بالانفتاح ليس إلا التفريع وانشعاب القوانين الكلية عما هو أهمّ منها ، وبجوامع العلم ليس إلا ضوابطه وقوانينه . وفي قوله (وأُعطي) بالبناء للمجهول دليل ظاهر على أن المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي (ص) بل الذي أعطاه ذلك هو الذي أعطى النبي (ص) جوامع الكلم ، وهو الحقّ سبحانه وتعالى . وأما الأمور التي عدّدها الله سبحانه فهي من الأمور الغيبيّة ، وقوله لا يعلمها أحد إلا الله ، كقوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتحُ الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ " سورة الأنعام ٥٩ "، وهو محتمل للتخصيص ، كما في قوله ﴿ عالمُ الغيب فلا يُظهرُ على غيبه أحداً ، إلا مَن ارتضى مِن رسول ﴾ وهذا الأمر واضح لا يحتاج العاقل في استكشافه إلى كلفة .

صدور الأفعال الخارقة من الإمام (ع) :

ثم يقول ابن ميثم في شرحه للنهج ص ٨٨ :

(المقام الثاني) في وقوع الفعل الخارق عنه (ع) : واعلمْ أن الطريق إلى ذلك هو النقل ، وقد نُقل عنه ذلك في صور ثبت بعضها بحسب التواتر ، وبعضها بخبر الآحاد .

فمـــن الأمور الخارقة المنقولة عنه بحسب التواتر ، قلعه لباب خيبر لَما انتهى إليه ، وكـــان مِن صخرة واحدة يعجز الجماعة عن تحريكه . وروي في كيفيّة حاله في ذلك ، أنـــه لما اقتلعه رمى به أذرع ، واجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوه إلى مكانـــه . وروي أنـــه (ع) قال : عالجتُ باب خيبر وجعلته مِجَنّاً لي وقاتلت ، فلما أخـــزاهم الله ، وضعت الباب على حصنهم طريقاً ، ثمّ رميت به في خندقهم . فقال له رجـــل : لقـــد حملتَ يا أمير المؤمنين منه ثقلاً ؟. فقال : ما كان إلا مثل جُنّتي التي في يـــدي في غير ذلك المقام . ومعلوم أن ذلك لم يصدر عن قوة بدنية ، وإلا لَقدر على ذلـــك مَن هو أقوى صورةً منه ، ولذلك قال (ع) : ما قلعتُ باب خيبر بقوّة جسدانية ، ولكـــن قلعته بقوة ربانية . وللشعراء في هذه الآية أشعار كثيرة ، والقصة مشهورة . فهـــذا القدر يكفينا في بيان فضائله (ع) ، وعليك في باقي الأمور المنقولة عنه في ذلك بالكتب المصنّفة في بيان معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء .

ولقـــد اجتهد بنو أمية في إخفاء فضائله وإطفاء نوره ، بالتحريف ووضع المعايب والمثالـــب ، حتى سبّوه على جميع المنابر ، ومنعوا أن يروى حديث يتضمن له فضيلة ، وأن يســـمّى باسمه أحد ؛ فلم يزددْ بذلك الإخفاء إلا ظهوراً ، ولم يثمر ذلك الإطفاء إلا نوراً ﴿ ويأبى اللهُ إلا أن يُتمَّ نورَه ، ولو كرهَ الكافرون ﴾ .

الدكتور لبيب بيضون
الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية بلندن
مدير فرع دمشق – كلية الشريعة

الفهرس

الفهرس

لكتاب : شروح نهج البلاغة

للعارف بالله الشيخ ميثم بن علي بن ميثم البحراني